موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

الدولة التيمورية (المغولية) الإسلامية فى الهند (١٥٢٦-١٨٥٧م)

أ.د. عادل حسن غنيم

تأسست سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م
دار الفكر العربي

الدولة التيمورية (المغولية) الإسلامية فى الهند (١٥٢٦- ١٨٥٧م)

تأليف

أ.د.عادل حسن غنيم

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب- جامعة عين شمس

سجادة من العصر المغولى فى الهند

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com

موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

الإشراف الفنى
محيى الدين فتحى الشلودى

التصميم والإخراج على الكمبيوتر
حسام حسين أنيس

سوراج أميرة السند قبل دخول المسلمين

٩٥٤,٠١ عادل حسن غنيم.
ع ب د و الدولة التيمورية (المنغولية) الإسلامية فى الهند/ تأليف عادل حسن غنيم. ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٦.
٦٤ص: صور؛ ٢٤ سم. - (موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية. التاريخ الحديث والمعاصر؛ ٥).
ببليوجرافية: ص ٦٤.
تدمك: ٣ - ٢١٤٣ - ١٠ - ٩٧٧.
١ -تأسيس الدولة التيمورية. ٢- نهاية الدولة التيمورية. ٣- الدولة التيمورية والاصطلاحات. أ - العنوان. ب - السلسلة.

دار الفكر العربى

رقم الإيداع: ٨٧٩٨ / ٢٠٠٦

تنفيذ وطباعة الكتاب: مطبعة البردى بالعاشر من رمضان

تقديم السلسلة

د

التاريخ علم من أَجَلِّ العلوم الإنسانية وأعلاها قدرا وأكثرها فائدة. ويتطلب علم التاريخ فيمن يمارسه التحلى بأمانة الحكم وصدق الكلمة وبُعْد النظر والقدرة على الإفادة من دروس الماضى لمواجهة صعاب الحاضر والاستعداد لما قد يتفتق عنه المستقبل من أخطار وعقبات.

إن الروايات التاريخية قد تتشابه فى بعض أجزائها على مدى الدهور، ولكن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه، بمعنى أن تتطابق أحداثه مع بعد المسافة بين حدث وآخر. فالإنسان هو الإنسان بكيانه الجسدى ومشاعره النفسية وتطلعاته وطموحاته.. على مر العصور، ولكن الظروف المحيطة به تتغير وتتبدل من عصر لآخر. وغالبا ما يتخذ هذا التغيير مواقف جديدة أو مسيرة مختلفة تسهم فى تحويل نظرة الناس إلى الحياة. وبدراسة التاريخ يمكن الوقوف على ما مر به الإنسان من تجارب وما يمكن أن يكون قد وقع فيه من أخطاء، وكيف يتجنبها فى الحاضر والمستقبل. وهذا ما عبَّر عنه بعض الحكماء بقوله: «من وعى التاريخ فى صدره، أضاف عمرا إلى عمره».

وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من الهيئات الثقافية، فجعلوا للتاريخ حقه من الاهتمام والرعاية، وحرصوا على رعاية جمعه وحصاده وأحلوه فى مكانه اللائق.

وتأتى مؤسسة **دار الفكر العربى** التى أسسها الأستاذ/ **محمد محمود الخضرى**، التى تنهض بدور ملموس فى مجال خدمة الثقافة العربية. والتى وضعت مشروعا للثقافة التاريخية، واستعانت فى التخطيط لهذا المشروع بعدد من صفوة أساتذة التاريخ المتخصصين داخل الجامعات العربية وخارجها. كما وفرت الدار لهذه السلسلة الإخراج الفنى والتصميمات، وكذلك المراجعة اللغوية لخروج هذه السلسلة بالصورة التى تجدونها أمامكم.

وإن أسرة الدراسات التاريخية ليسعدها أن تقدم هذا الكتاب الذى يصدر عن **دار الفكر العربى** ضمن هذه السلسلة، سائلين لها دوام التوفيق فى خدمة الرسالة والنهوض بالأمانة.

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور

تمهيد تاريخى:

شهـدت الهند فى بداية الربع الثـانى من القرن السادس عـشر الميـلادى عصـرا جديدا فى تاريخهـا هو العصـر الإسلامى الثـانى فى الهند، حيث نشـأت الدولة التيـمورية (المغولـية) التى ضارعت شهرتها الدولة العباسية، وأصبحت من أهم الدول الإسلامية فى التاريخ.

ففى تلك الفترة التى كان الاستعمار البرتغالى يوسع نفوذه ويدعم احتكاراته فى شبه الجزيرة الهندية تكونت فى الهند تلك الدولة التى ظـلت تحكم فى الهند أكثر من ثلاثة قـرون من الزمان، وشمل سلطانهـا معظم أنحاء شبـه الجزيرة الهندية ومناطق أخرى خارجـها، ولم تكن هذه الدولة هى أول دول إسـلاميـة فى تاريخ الهند، فقـد سبـق قيـام الدولة المغوليـة ظهور عـدد من الدول الإسلامية طوال القرون الخمسة السابقة.

ضريح أحد أمراء قطب شاه - الهند

فقد فكر العرب فى فتح الهند فى عصر الخلفاء الراشدين وعصر بنى أمية، ووصل الإسلام إلى إقليم السند فى أواخر القرن الأول الهجرى وأصبحت ولاية السند تابعة للخلافة الأموية فى دمشق، ثم امتدت الفتوحات الإسلامية فى شبه الجزيرة الهندية على يد الغزنويين ابتداء من القرن الرابع الهجرى. فقد بدأت غزوات الأتراك من أفغانستان إلى شمال الهند عندما وصلت قوات السلطان محمد الغزنوى عام ١٠٠١م، وقد قام هذا السلطان بسبع عشرة غزوة واستطاع أن يتوغل فى قلب السهول الهندية رغم المقاومة الهندوكية الكبيرة، وأن يقيم حكما إسلاميا فى مناطق من شبه الجزيرة الهندية.

لكن النفوذ الإسلامى لم يتوطد فى شبه الجزيرة الهندية إلا فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى على يد الدولة الغورية عندما تمكن قطب الدين محمد الغورى من الاستيلاء على المناطق الهندية شمال مرتفعات فنديا ودخل دلهى عام ١١٩٣، واستمرت الدولة الغورية قائمة فى شبه الجزيرة الهندية حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى عندما سيطر المماليك على مقاليد الحكم ما يقرب من قرن من الزمان، ثم تبعهم الأمراء الخلجيون (١٢٩٠-١٣٢١م) ثم دولة آل تغلق (١٣٢١-١٤١٢م) التى حدثت فى نهايتها غزوة تيمورلنك للهند والتى سقطت خلالها مدينة دلهى فى يد القوات التيمورية عام ١٤١٤م، وكانت هذه الغزوة العامل الرئيسى فى تفكك دولة آل تغلق إلى عدة ولايات يخضع كل منها لإحدى الأسرات الإسلامية الحاكمة، وهيأت تلك الأوضاع السياسة المتفسخة الفرصة لظهير الدين محمد بابر، كى يندفع بقواته إلى شمال الهند ليستولى على دلهى ويؤسس الدولة المغولية التى تعتبر أكبر وأهم دولة إسلامية عرفتها الهند فى تاريخها الطويل.

وينسب سلاطين هذه الدولة إلى الأتراك والمغول معا، فأبوهم ظهير الدين مؤسس الدولة المغولية فى الهند ينتسب من ناحية أبيه إلى الأتراك عن طريق تيمورلنك، وينتسب من ناحية والدته إلى المغول عن طريق جنكيزخان.

وكان سلطان الأتراك يمتد خلال القرن السادس الميلادى بين حدود الصين وحدود فارس وبيزنطة، وكانت قبائلهم تنتشر فى هذه المنطقة، وأدى اختلاطهم بجيرانهم من أصحاب الحضارات القديمة إلى استفادتهم من تلك الحضارات وتأثرهم بما بلغته تلك الأمم من تقدم وازدهار، وكانت الحضارتان الصينية والفارسية من أهم الحضارات التى تأثر بها الأتراك.

ووصل الإسلام إلى قبائل الأتراك فى وسط آسيا اعتبارا من أواخر القرن السابع الميلادى وبدأ ينتشر بينهم، لكن إقبال الأتراك على الإسلام بشكل جماعى واضح تم خلال القرن العاشر الميلادى عندما انتقلت الثقافة الإسلامية إلى الأتراك عن طريق الفرس بالذات، ومن تلك القبائل

التركية الـتى عاشت فى وسط آسيا قبيلة العـثمانيين التى اتجهت إلى آسيـا الصغرى خلال الربع الأول من القرن الثالث عشر.

فى تلك المرحلة التى كانت القبائل التركية فى وسط آسيا ترتقى وتعرف حياة الاسـتقـرار وتقيم عـددا من الدول التركـيـة داخل الدولة الإسلامـية مـثل الدولة السلجوقـية، كانت قبـائل المغول ـ التى نشأت فى هضـبة منغوليا فى وسط آسـيا ـ تعيش عيشة بدوية صرفة، ولا يدرى العالم من شـأنها شيئا حتى ظهور جنكيزخان خلال القرن الثالث عشر الميلادى.

وكانت هناك قبـائل أخرى فى نفس الفترة تعيش فى الجـزء الشمالى من آسيا أهمهـا قبائل التتـار التى عرفت بشـدة البأس وقـوة الشكيمـة والتى دخلت فى صراع كـبيـر مع قبائـل المغول واستطاعت أن تخضع لسلطانها كثيرا من قبائل الأتراك.

وعندما انتصـر جنكيزخان على القبائل الأخـرى التى كانت تناوئ المغول تفرَّغ لقتـال التتار وتمكن من التنكيل بهم، لكن كـثيـرا من المغول أقـبلوا على الزواج من بنات التتـار، فكان النسل الجديد يضم كثيرا من قواد المغول وزعمائهم.

وعلى الرغم من أن التتـار قبائل مختلفـة ومستقلة أصـلا عن المغول، وعلى الرغم من هذا الانتصار الذى حـققه المغول على التـتار، فقد أطلق اسـمهم على المغول، فعـرف المغول عند بدء هجومهم على المشرق الإسلامى بالتتار كما عرفوا أيضا بالمغول.

وخلال القرنين الثالث عشر والرابع عشـر الميلاديين تمكن المغول من إنشاء دولة كبرى تضم الصين وفارس وما بين النهـرين وآسيا الصغرى وشرق أورربا، ولا يعرف التـاريخ قوما من الرعاة

المغول يحاصرون أحد الحصون

غير المغول استطاعوا خلال فتـرة قصيرة من الزمن أن يغزوا تلك الأقطار المتحضرة ويقيموا هذه الدولة المترامية الأطرف.

وقد قدر للمغول أن يتابعوا مذابحـهم وتخريبهم فى المشرق العربى فى عهد هولاكو الذى عـبر بلاد مـا وراء النهر إلى فـارس ثم العراق حيث دمـر عاصـمة الخلافة العباسـية وقتل الخليفة وأنزل الدمار بهذه البلاد، وأمكن للـمصريين بقيادة السلطان قطز أن يوقفوا هذا الزحف المغولى بانتصـارهم على المغول فى واقعة عين جالوت عام ١٢٦٠م.

عملة من عهد هولاكو

عملة فضية لتيمور لنك

ضريح تيمور لنك

وإذا كانت فترة الغزو المغولى للمشرق العربى مرحلة بربرية فى طبيعتها حل فيـها بتلك المنطقة كـثير من الخـراب والدمار فقـد تأثر المغول مع الوقت بحـضارة الإسلام بعـد أن اعتنق بعضـهم له عقب اخـتلاطهم بالأتراك فهـذب الإسلام من طباعهـم، وهدأ من عنفهم وشراستـهم، ودفعهم فى النهاية إلى الإسـهام فى بناء الحضارة الإسلامية وتطويرها.

وبدأ نجم المغـول فى الذبول بعـد موت هولاكـو، فنشـبت الاضطرابات فى مناطق كثيرة وبدأت دولتهم الكبرى فى التقلص، واستـعاد الأتراك كثيرا من نفوذهم ببلاد ما وراء النهر، وبظهور تيمورلنك خلال النصف الثانى من القرن الرابع عشر انتقلت مقاليد الأمور فى بلاد ما وراء النهر إلى أيدى الأتراك، وقد وصل تـيمورلنك فى فتوحاته إلى شبـه الجزيرة الهندية، كما استولى على فارس، واصطدم بالعثمانيين وانـتصر عليهم فى واقعة أنقرة عام ١٤٠٢م، وتمكن من أسر السلطان العثمانى بايزيد، ومات فى عام ١٤٠٥م، خلال اشتباكه مع قوات الصين.

خريطة الهند قبل (بابر) – سلطنة دلهى

وتمكن أحـد أحفـاد تيمورلنك وهـو ظهير الدين محمد بابر من بسط سلطانه فى شـبـه الجـزيرة الهندية، وتابع أبناؤه مـن بعـده هذه المهمة حـتى شمل سلطانهم مـعظم أنحاء شـبه الجـزيرة الهندية.

وسوف نتحـدث بعد ذلك فى إيـجـاز عن أهم سـلاطين الدولـة المغـوليـة اعـتـبـارا من بابر حـتى أورنجـزيب، ثم عـن نهـاية الدولة ومـوقـفـهـا من البرتـغاليين والإنجلـيز، ثم عن أهم سـمـات الدولة وتنظيماتها وإصلاحاتها، ثم تقييم عام للدولة.

السلطان بابر مؤسس الدولة التيمورية (المغولية) (١٢٥٦ - ١٥٣٠م)

ولد بابر (أى النمر) فى فبراير ١٤٨٣م (٨٨٨هـ) وأطلق عليه اسم «ظهير الدين محمد» لكنه اشتهر فى التاريخ باسم (بابر) وهو الاسم الذى كان يستخدمه أهله من الأتراك والمغول.

ويعتبر ول ديورانت أن بابر هو الفاتح الحقيقى للهند نظرا لأنه أسس أسرة مغولية عظيمة فى الهند، وهو يشبه الإسكندر الأكبر كل الشبه فى شجاعته وجاذبيته. ولما كان سليل تيمورلنك وجنكيز خان، فقد ورث كل ما اتصف به هذان الحاكمان من قدرة دون أن يرث ما كان لهما من غلظة القلب.

وبالرغم من أن بابر ينتسب إلى الأتراك والمغول معا فقد كان ينفر من المغول نفورا كبيرا ويعتز بتركيته اعتزازا خاصا، ومع ذلك فقد نسبت دولته إلى المغول وذكرت فى التاريخ باسم الدولة المغولية نظرا لأن الهنادكة كانوا يطلقون كلمة المغول على كل الغزاة الذين ذهبوا إليهم من بلاد ما رواء النهر بعد جنكيزخان.

وقد تولى بابر حكم ولاية فرغانة بعد وفاة والده عمر شيخ مرزا عام ١٤٩٤م، وكانت هذه الولاية إحدى أقاليم إمبراطورية تيمورلنك فى وسط آسيا. وكان أقرباؤه حكام سمرقند يطمعون فى ملك أبيه قبل موته وشجعهم موت أبيه على محاولة السيطرة على فرغانة لكنهم لم يوفَّقوا، وتمكن بابر بعد ذلك مرتين من الاستيلاء على مدينة سمرقند، لكنه فقدها بعد قليل من الوقت على يد ميرزا صاحب بخارى ثم على يد شيبانى خان الأوزبك أو الأزابكة، وقد استمر شيبانى يطارد بابر حتى دفعه إلى النزوح من بلاد ما وراء النهر، وخاصة بعد أن انفض عنه جنده وكثير من ذوى رحمه.

ترك بابر فرغانة عام ١٥٠٤م (٩١٠هـ) وكان رجاله يقلون عن ثلاثمائة فرد واجتاز تلال أسفرا ثم إقليم حصار حيث انضم إليه حاكمه بقواته التى عانت الكثير من قوات الأوزبك، ولم يشأ بابر معاودة الاشتباك مع قوات الأوزبك بل آثر الاتجاه إلى كابل وغزنة ـ وهما حاليا جزء من بلاد الأفغان ـ يشجعه على ذلك تلك الاضطرابات التى سادتها فى تلك المرحلة، وتمكن بابر من السيطرة عليهما دون إراقة دماء.

وبدأ بابر تنظيم قواته، وقام بعدة حملات استطلاعية على حدود الهند حيث استولى على بعض المدن والمناطق، لكن حدث بعد حوالى عامين ما أقض مضجعه فقد قام خان الأوزبك

بحملة كبـيرة على خراسان ارتكبت قواته خلالهـا كثيرا من أعمال التـدمير والقتل والاغتـصاب، ثم اتجه إلى كابل حـيث يوجد بابر، لكن بابر الذى أدرك استـحالة مواجهة تلك القوات الساحقـة المدمرة رأى من الحكمة أن يتجنب الصدام مع قوات الأوزبك وأن يتجـه بقواته إلى شبه الجـزيرة الهندية رغم اضطرار شيبـانى بعد ذلك إلى إيقاف توغله وراء بابر والانسـحاب إلى خراسان حيث هوجـمت حصونه من بعض الثوار ودخل فى حرب مع إسماعـيل الصفوى عام ١٥٠٨م (٩١٤هـ) انتهت بانتصار الصفـويين على قوات الأوزبك ومقتل شيبـانى وخضوع خراسان جمـيعها للدولة الصفوية عام ١٥١٠م (٩١٦هـ).

وبعث هذا الانتصار الصفوى على قوات الأوزبـك الآمال فى نفس بابر لاستعادة بلاده مرة أخرى. وعرض بابر على الشاه إسماعيل الصفوى مـعاهدة صداقة، ورأى إسماعيل أن يترك لبابر حكم هذه المناطق حـتى يتفرغ لمواجـهة العثـمانيين الذين كـانوا قد بدأوا يهددون حـدود فارس، فأرسل إلى بابر يخطره بموافقته. لكن الأوزبك عرضوا على إسمـاعيل الصفوى عقد الصلح معهم فوافق إسماعيل، وعقدت معاهدة بينهما تقضى بترك تركستان للأوزبك وضم خوارزم إلى ممتلكات الصفويين، لكن الأوزبك عـادوا إلى التمرد بمجرد اتجاه إسـماعيل إلى الغرب لملاقاة العثـمانيين، فطلب إسماعيل من بابر الاسـتيلاء على بلاد الأوزبك فيما وراء النهر وأمده بقـوات كبيرة استطاع بها بـابر أن يتوغل فى بلاد مـا وراء النهر حـيث سقطت بخـارى وسمرقند فـى يده عام ١٥١١م (٩١٧هـ).

وظل بابر عدة أشـهر فى سمـرقند يحاول تنظيم أمـور ما وراء النهـر وتكوين جيش شبـيه بجيش الصـفويين، لكن تكوين هذا الجيش لم يجد اسـتجابة لدى أهل ما وراء النهـر الذين كانوا يدينون بالمذهب السنى، وأحـدث ثورة ضد بابر، وخـاصة فى بخـارى وسمـرقند تمكن الأوزبك بعدها من استعادة المدينتين.

واستنجد بابر بإسماعـيل الصفوى فأمده بقوات أخرى بقيادة أحـمد أصفهانى الذى ارتكب كثيرا من المـظالم وأعمال العنف حتى أنه قتل خمـسة عشر ألفا من مدينة قـرشى بينهم صفوة من علماء السنة وفـقهائها، لكن قوات الأوزبك اسـتجمعت قـواها وخاضت معركـة مريرة مع قوات الصفويين فى غدوان عام ١٥١٤م (٩٧٠هـ) حيث تم النصر لقوات الأوزبك.

ولعلنا نلاحظ أنه فى نفس الفترة التى كان بابر يتعاون فيها مع إسماعيل الصفوى ضد قوات الأوزبك كان العثمانيون يتجهون شرقا بعد أن امتد سلطانهم فى آسيا الصغرى والبلقان، فقد شهد عام ١٥١٤م هزيمتين هامتين للصفويين إحداهمـا فى غدوان التى انتصر فيها الأوزبك والثانية فى جالديران التى انتصر فيها السلطان سليم الأول.

٨

ولعل هذه النظرة الشاملة للأوضاع فى تلك المنطقة فى أوائل القرن السادس عشر تفسر لنا شيئا هاما وهو أن الصدام الدائم فى تلك السنوات بين قوات الأوزبك والصفويين كان أحد الأسباب الهامة التى دفعت السلطان سليم إلى الاكتفاء بانتصاره فى واقعة جالديران وعدم التوغل فى فارس نظرا لوجود خصم لدود آخر للصفويين فى الناحية الشرقية وهو الأوزبك، كما يعتقد أيضا أن العثمانيين أدركوا أنهم لو واصلوا توغلهم فى فارس فقد يصطدمون بالأوزبك الذين كانوا مشهورين بالقوة والصرامة، فمن المصلحة إذن أن يظل الصفويون فى مواجهة مباشرة مع الأوزبك وأن يكون هناك دولة حاجزة بينهم وبين الأوزبك ممثلة فى الدولة الصفوية.

عملة ذهبية من عهد إسماعيل الصفوى

ولا شك أن ذلك الخطر الأوزبكى الداهم يعطينا فكرة واضحة عن تلك القوة الضاغطة التى دفعت بابر إلى الاتجاه إلى كابل وتوجيه نشاطه إلى شبه الجزيرة الهندية التى وجد فى ثرواتها وأوضاعها السياسية السيئة مجالا طبيعيا لإقامة دولته المرتقبة.

وقام بابر بالغزو الأول للهند عام ١٥١٩م فاتجه إلى البنجاب التى كان يعتبرها ملكا لأسرته بحق فتح تيمورلنك لها، وقام بعد ذلك بعدة غزوات على شبه الجزيرة الهندية تمكن خلالها من الاستيلاء على مناطق ومدن وقلاع وحصون هامة، لكنه اضطر أكثر من مرة إلى العودة إلى كابل وقندهار بسبب تمرد بعض القبائل عليه أو لتهديد الأوزبك لأراضيه، وعندما كان يطمئن إلى استقرار الأمور وتأمين

رسم صورة (بابر) من بابر نامة

مؤخرته كان يتابع توغله فى شبه الجزيرة الهندية ليحقق فى كل غزوة نصرا جديدا. وتمكن فى إحدى هذه الغزوات من الاستيلاء على مدينة بهيرة، كما تمكن فى غزوة أخرى من السيطرة على مناطق كبيرة من البنجاب ودخل عاصمتها لاهور، وكانت آخر غزواته وأهمها تلك التى خرج بها من كابل فى نوفمبر ١٥٢٥م (٩٣٢هـ) على رأس جيش يتكون من اثنى عشر ألف جندى خاض بهم معركة فاصلة مع ملك الأفغان الذى كان جيشه يبلغ أضعاف جيش بابر وبه نحو ألف فيل، وتمكن بابر من الانتصار على ملك الأفغان فى ٢١ إبريل ١٥٢٦م فى واقعة بانيبات، التى سقط فيها من قوات العدو عشرون ألفا بين قتيل وجريح، وجلس بابر على عرشهم فى قلعة أجرا.

وتروى المصادر المختلفة كثيرا من أخبار تلك المعركة الهامة وحسن قيادة بابر لقواته، فمن تأمين للخطوط إلى استطلاع لمواقع العدو إلى تنظيم بارع لتشكيلات الجيش، فهناك الفرسان وحملة البنادق وفرق المناوشة، وهناك ميمنة للجبهة وميسرة لها، وهناك الخنادق وإقامة المتاريس والاستفادة من تشكيلات العثمانيين فى تعبئة القوات.

وبانتصار بابر فى هذه المعركة أمكنه السيطرة على سلطنة دلهى التى كانت تمتد من البنجاب إلى بهار. وخطب باسمه على منبر المسجد الجامع فى دلهى يوم الجمعة ٢٢ أبريل ١٥٢٦م، كما مهدت معركة بانيبات الطريق إلى ذهاب المغول إلى شبه الجزيرة الهندية، واتخاذها موطنا دائما لهم.

بابر يشرف على بناء حصن أجرا

ووقعت فى يد بابر وقواته بعد المعركة كنوز وجواهر وأموال طائلة أغدق منها على قواده وجنوده وحكامه وأقاربه، وأرسل هدايا قيمة إلى أصدقائه فى سمرقند وخراسان وفارس وغيرها، ومنح بعضها إلى العلماء والفقراء فى بلدان إسلامية مختلفة، ووزع منها قطعة فضية على كل فرد من أفراد مدينة كابل تذكارا لهذا النصر الكبير الذى تحقق على يديه.

١٠

ولا شك أن هناك عوامل سهلت لبابر الانتصار فى موقعة بانيبات، ومن هذه العوامل ذلك الخلاف الذى قام بين الأمراء الأفغان اللودهيين وبين سلطانهم فى مدينة دلهى واستنجاد هؤلاء الأمراء ببابر لإنقاذهم من طغيان هذا السلطان، لكن هؤلاء الأمراء كانوا يتوقعون بعد انتصار بابر فى معركة بانيبات أن يسلم لهم حكم هذه المناطق ويعود أدراجه إلى كابل، لكنهم بعد أن أدركوا أن بابر يخطط لتوطيد ملكه وتوسيع نطاق دولته بدأوا ينقلبون عليه ويعملون على مقاومته، فمنهم من تحالف مع الأمراء الهنادكة، ومنهم من اختار أمير بهار سلطانا عليهم، ومنهم من بدأ يجمع القوات استعدادا لمواجهة بابر، وحاولوا جميعهم أن يقيموا العراقيل فى وجهه حتى يجد استحالة فى توفير المقومات الاقتصادية الضرورية لقواته.

ومن ناحية أخرى فإن جنود بابر كانوا يأملون بعد هذا النصر الذى حققوه وبعد تلك المغانم التى اكتسبوها أن ينسحبوا، وخاصة أن جو الهند لا يناسب طبيعتهم، لكن بابر كان قد صمم على البقاء، واستطاع إقناع قادة الجيش وجنوده بضرورة البقاء والتصميم على تحمل المشاق ومواجهة أية عراقيل تحقيقا للهدف الأكبر الذى ارتآه بابر وهو إقامة دولة كبيرة فى شبه الجزيرة الهندية. لكن بابر أعطى فى نفس الوقت الإذن بالرحيل للجنود الذين يؤثرون السلامة على المجد، ورحب بالجنود الذين يعتزون بالنصر والشرف ويخلصون لوطنهم وسلطانهم.

وبينما تحاول قوات بابر تدعيم سلطانها حول ما اكتسبه من مناطق كان راناسنجا حاكم إمارة موار إحدى الإمارتين الهندوكيتين يستجمع قواه ويستولى على بعض الحصون ويستعد للزحف على أجرا ويدمر فى طريقه مساجد المسلمين ويسبى نساءهم ويقتل أطفالهم.

وكان راناسنجا بطلا هنديا مشهورا انتصر فى عشرات المعارك، وأصيب أكثر من ثمانين مرة، وفقد خلال ذلك إحدى يديه وإحدى ساقيه وعينا من عينيه.

وبدأ بابر يستعد لملاقاة هذا الزحف الخطير الذى يهدد دولته بالزوال والذى يتوفر له كثير من احتمالات النصر. فقائد الزحف أقوى الأمراء الراجبوتيين فى شبه الجزيرة، والقوات المعادية تتجاوز المائة ألف جندى بينما تبلغ قوات بابر العشرين ألفا، وعدد من الأمراء الأفغان والهنادكة يلتف حول راناسنجا ويقدم له التأييد والدعم.

وأدرك بابر بثاقب فكره وصادق بصيرته أن الجهاد المقدس هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن يحقق لقواته النصر، فدعا إلى الجهاد فى سبيل الله وعبَّأ قواته تعبئة روحية قوية «فإذا سقطنا صرعى فى الميدان فإننا نموت ميتة الشهداء، أما إذا كتب لنا البقاء فإننا سنحيا منتصرين بعد أن نكون قد ثأرنا لدين الله».

وأراد بابر أن يضرب المثل بنفسه كقدوة صالحة فأعلن فى منشور أذاعه على الناس إقلاعه عن شرب الخمر وتحريم صناعته فى البلاد، وأمر بتحطيم آنية الخمر الذهبية والفضية وتوزيعها على فقراء البلاد، كما أعفى المسلمين من دفع الضرائب.

بهذه التعبئة الروحية خاض بابر غمار الحرب مع الهنادكة، وبالدعوة إلى الجهاد أمكن لقواته أن تنتصر فى معركة خانوا وكان شعار قواته خلال القتال «النصر أو الشهادة».

ويروى بابر فى سيرته وصفا لتلك المعركة الهامة التى حدثت وقائعها يوم السبت ٢٦ مارس ١٥٢٧م (١٣ جمادى الآخرة ٩٣٣هـ) والتى تعد من أهم الوقائع الحربية فى تاريخ المسلمين ومن أهم المعارك الفاصلة فى تاريخ الهند، فيتكلم عن مقدمات المعركة وتطوراتها وخطة جيشه وتوزيع قواته وتفوق سلاحه وشجاعة قواده وجنوده وكثرة ضحايا العدو وخسائره، ثم لجوء قائدهم راناسنجا جريحا إلى أحد معاقله الجبلية (وقد توفى كمدا فى العام التالى).

ورغم صمود قوات الراجبوتيين بفضل أعدادهم الكبيرة فقد كان سلاح مدفعية بابر هو العامل الحاسم فى تلك المعركة التى ألحقت بالراجبوتيين وحلفائهم الأفغان هزيمة ساحقة وحطمت أملهم فى إقامة سلطانهم فى شمال الهند على حطام سلطنة الأفغان اللودهيين.

ولا شك أن تجربة بابر فى وسط آسيا كان لها أثرها الملموس فى نشاطه داخل الهند. ففى بانيبات وخانواه نجد المقاتل الذى أصقلته التجربة، فقد تعلم استخدام الأسلحة النارية من الفرس، وعرف أسلوب مهاجمة الأجنحة من الأوزبك الذين كانت تكتيكاتهم تقوم على الالتفاف حول جناح العدو والهجوم فى نفس الوقت وبأقصى سرعة على مقدمته ومؤخرته. فالامتزاج الفعال بين فرسان بابر، وكفاءة التدريب العالية، واستخدام الأسلحة النارية الجديدة والتكتيكات العسكرية ـ وهى العوامل التى أسهمت فى تحقيق النصر ـ كانت جميعها حصاد تجربته فى وسط آسيا.

وتجمعت فلول الراجبوتيين تحت قيادة مادينى راو أكثر قواد راناسنجا شهرة والذى كان مسئولا عن حصن تشاندرى الهام فى مالوا، وحاول بابر التفاهم معه دون جدوى، فخرج لملاقاته وتمكن من هزيمته فى معركة تشاندرى التى ترتب عليها انهيار حلف الراجبوتيين.

ورغم تلك الانتصارات التى حققها بابر فقد بقيت بعض الجيوب المعادية فى المناطق الشرقية حيث يمارس الأمراء الأفغان نفوذهم، وقد تمكنت قوات بابر من تصفية تلك الجيوب بعد انتصارها على الثوار الأفغان فى معركة ججرا فى ٦ مايو ١٥٢٧م وإعلان نصرت شاه سلطان البنغال ولاءه لبابر.

وبهـذه المعارك التى خـاضتـها قـوات بابر فى بانبيـات وخانواه وتشـاندرى وججرا دانت السـيادة لبابر وتوقفت ـ إلى حين ـ مـقاومة الأفغانيين والراجـبوتيين وتوطدت الدولة المغولية فى شمال شبه الجزيرة.

لكن هذه السيـطرة لم تكن قائمة على مـجرد التوسـع العسكرى كمـا فعل تيمورلنك مثلا، بل كانت قائمة أيضا علـى الارتباط بالجماهير والاهتمام بالقضايا الداخلية ورعاية الآداب والفنون والعلوم.

وقد قام بابر بإنشاء دولته خلال فترة لا تتجاوز عشر سنوات، وهى فترة قصيرة فى حساب الزمن لكنها كانت فترة خصبة بسبب ما حفلت به من انتصارات عسكرية وإنجازات داخلية، ولعل التاريخ لا يعرف شخصية أخرى غير بابر استطاع خلال تلك السنوات القليلة أن يقيم دولة مترامية الأطراف بعيدة عن موطنه الأصلى.

ولا شك أن هناك ظروفـا عامة وذاتـية يسرت لـبابر الطريق نحـو إقامة الـدولة التيـمورية الإسلامية فى شبه الجزيرة الهندية :

أولا: تعدد الإمارات الإسلامية والهندوكية فى شـبه الجزيرة الهندية، ووجود صراع محتدم بين الأمراء الأفغان وسلطانهم وحسن استفادة بابر من هذا الصراع.

قلعة ـ جولكوندا ـ الهند ـ حيدر آباد ـ بها بقايا مدفع

ثانيا: الدعوة إلى الجهاد الدينى وتعبئة قواده وجنوده بحقيقة الحرب التى يخوضون غمارها وتعميق معنى الشهادة فى نفوسهم.

ثالثا: حسن تنظيم بابر لقواته وإدراكه الجيد لأوضاع خصومه واستفادته من تجربته العسكرية فى وسط آسيا، واستخدام بعض الأسلحة التى لم تكن متوافرة لدى القوات الهندوكية والأفغانية.

رابعا: القيادة الواعية والصفات الذاتية الممتازة التى كان يتمتع بها بابر، ولعل من الأمثلة على ذلك تسامحه مع خصومه وصدقه عند مخاطبة قواته، وصراحته عند ذكر بعض نقائصه، وتوزيعه الغنائم على الجنود الذين أبلوا بلاء حسنا فى المعارك.

وكان بابر يتمتع بفائض من النشاط الجسدى والعقلى، فكان يقاتل ويخرج للصيد وللرحلة دون أن يروى بذلك غلته، وحدث أن قطع فى يومين مائة وستين ميلا وهو راكب على ظهر جواده، ثم واصل مجهوده بعد ذلك فسبح نهر الكنج مرتين كأن الرحلة لم تكفه دليلا على نشاطه، وقد ذكر فى أواخر أيامه أنه منذ عامه الحادى عشر لم يصم رمضان مرتين فى مكان واحد.

إحدى معارك بابر من «حمزة نامة» ـ (فتوح الهند) سنة ١٦٠٠م - عمل ميرسيد علي

ولا شك أن هذه الطاقة الكبيرة من النشاط، وتلك الصفات التى كان يتمتع بها بابر ساعدته منذ البداية على تحقيق الانتصارات حتى قبل أن يصل إلى شبه الجزيرة الهندية، فخلال محاولته السيطرة على بعض الطرق والأماكن فى طريقه إلى الهند كان يأمر جنوده ألا يعتدوا على السكان الآمنين، وألا ينهبوا أو يقتلوا، وأعلن أنه يريد أن ينشر السلام فى هذه المناطق.

كما أنه عندما كـان فى كابول كان الشتاء قاسيا، ولم تجد قـواته ما تحتمى به سوى كهف واحد طلب منه قواده أن يحتمى به، لكنه رفض وبقى مع جنوده خارج الكهف، مما يدل على أنه كان قدوة فى حياته وسلوكه.

بهذه السجايا الحمـيدة وبفضل التنظيم والاستعداد والتعبـئة الروحية والقدوة الصالحـة أمكن لظهير الدين مـحمد «بابر» أن يـقيم أعظم دولة إسلامـية فى تاريخ الهند، ويترك لنا هذه الصفحة المشرقـة من صفحات النضال، وأن يأخذ مكانا بارزا فى التاريخ الإنسانى بشكل عام، وفى التاريخ الهندى بشكل خاص، وفى التاريخ الإسلامى بشكل أخص.

وقد توفى بابر فى ٢٦ ديسمبر ١٥٣٠م وعمره سبعة وأربعين عاما.

السلطان همايون

ولد ناصر الدين محمد همايون عـام ١٥٠٨م، وتولى عرش الدولة التيمورية فى ٢٣ ديسـمبـر ١٥٣٠م بعد وفـاة والده بابر. وقد حكم الدولة مـرتين: الأولى خلال الفـترة من ١٥٣٠م إلى ١٥٣٩م، والثانية بعـد استعادته للهند فى الفـترة من ١٥٥٥م إلى ١٥٥٦م.

وكان من الطبيـعى بعد وفاة سلطان قوى مثـل بابر أن تشعر الهند بفراغ كبـير، وأن تحاول القوى السيـاسية والعسكرية المختلفة السـيطرة على مقاليد الأمور فى البـلاد، وخاصة أن السلطان الجديد كان يتصف بالضعف والتردد والإدمان على الأفيون.

فقد كـان هناك مجموعتـان مناوئتان لهمايون؛ الأولى تريد أن تنتـزع منه السلطان مع بقاء السيادة المغـولية على الهند، ويأتى على رأس هذه المجمـوعة إخوته، وخاصة أخـاه كمران الذى عينه همايون واليا علـى كابل وقندهار لكنه لم يكن قانعا بتلك المناطق فواصل مسـيرته إلى شمال غربى الهند حيث استولى على إقليم البنجاب أخصب أقاليم شبه الجزيرة الهندية قاطعا الصلة بين الدولة المغولية فى الهند وبين أقاليمها خارج شبه الجزيرة.

وأما المجموعة الثانية المناوئة لهمايون فكانت تضم الأفغان والهنادكة والبرتغاليين الذين كانوا يتربصون به الدوائر ويتعاونون من أجل القضاء على دولته. فالأفغان فى شرقى البلاد كانوا كثيرين وأقوياء، وقد انتصر عليهم همايون لكنه لم يطارد فلولهـم لأسباب أهمها ما بلغه من ازدياد نفوذ بهادر شاه أحد حكام إقليم الجوجرات غـربى البلاد وتهديده لكيان الدولة. وقد تمكن همايون من السيطرة على معظم الإقليم، لكن قواده شغلوا أنفسهم بجمع الغنائم وعاشوا حياة البذخ، كما أن همايون لم يعمل على توطيد سيطرته فى إقليم الجوجرات قـبل أن يتجه شرقا إلى البنغال لإخماد ثورة أشعلها شيرخان سورى أشجع ثوار الأفغان والذى تمكن من السيطرة على البنغال.

وقد تمكن شـيرخـان من استـدراج قوات همايون فى أراضـى البنغال، وأسهـمت الأمطار الموسميـة الغزيرة فى إعاقة تحرك قواته، وتمكن شـيرخان فى النهاية من هزيمة همـايون فى واقعة تشوسا بعد أن هلك معظم جنوده.

وعين شيرخان نفسه بعد هذا الانتصار حـاكما على الهند كما اتخذ لقب شاه. أما همايون فقد ازداد موقفه سوءا لعدة أسباب منهـا خروج أخيه هندال على طاعته وتعاونه مع أعدائه، ومنها عدم إدراكه لإمكانات خصومه، ومنها عدم قدرته على تجميع القيادات حول أهدافه، ونتيجة لهذه العوامل وغيرهـا تمكن شيرخان من طرد همايون من الهند فلجأ إلى فـارس حيث رحب به الشاه طهماسب.
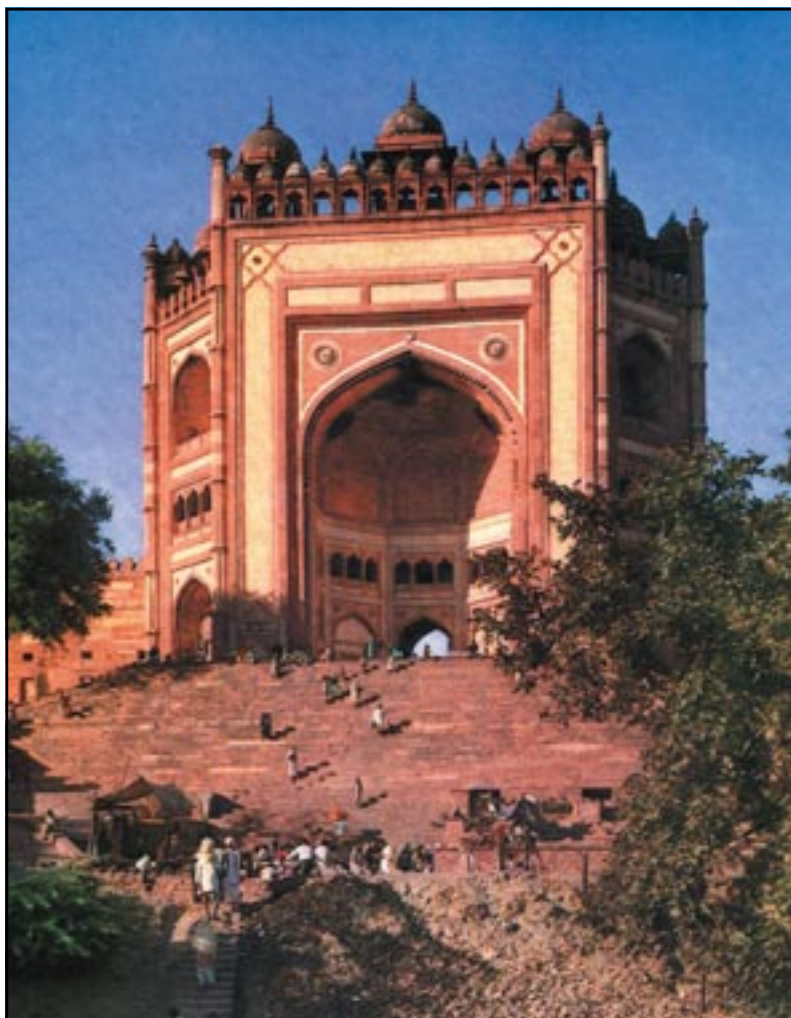
قوس النصر شمال الهند ـ العصر المغولى الهندى

بقايا مسجد بابر الذى هدمه الهندوس عام ١٩٩٨م

وكان همايون قد نجح خلال وجوده فى منفـاه فى ضمان المساعدة العسكرية الفارسية لفتح أفغانستـان بشرط إعادة قندهار إلى فارس. فاحتل قندهار وكابل عام ١٥٤٥م. وقد تمكن همايون بعـد ذلك من التخلص من متاعب إخوته، فـقد قتل هندال فى كابل واستجاب همايون لرغبـة أخويه كمران وعسكرى بالرحيل إلى مكة المكرمة بعد أن فقئت عينا كمران.

وكان طبيعيا أن يفكر همايون بعد ذلك فى استعادة دولته فى الهند من خلفاء شيـرشاه، وقد شـجعه علـى ذلك بعض الهنادكة، فغـزا الهند فى نوفمـبر ١٥٥٤ وانتصر على معظم خصومـه فى عدة معارك تمكن بعدها من استرداد عرشه بعد خمـسة عشر عاما قضاها فى المنفى، وتوفى فى يناير ١٥٥٦ تاركا لابنه أكبر مهمة إخضاع بقية الأفغان.

ولعلها من المرات القليلة فى التاريخ التى يتـمكن فـيهـا حـاكم أو سلطان من استرداد دولته بعـد فقدها. وإذا كان لذلك دلالتـه بالنسبـة لشـجاعـة همايون وقـوة عزيمـته، فقـد كان ذلك راجعـا بالدرجة الأولى إلى تـناقــضـات الهـند وتفـسخ أوضاعها.

مسجد اللؤلؤة - دلهى

ولعل ما حـدث لهمايون من فـقده عرشه واستعادته له يجعلنا ندرك من خلال استقرائنا لدروس التاريخ، أن البلدان التى تسودها التناقضات الاجتماعية والاقتصادية والدينيـــة مـثل الهنـد ولبنان واليـمن من الممكن الوصـول إلى السلطـة فـيـهـا لكن من الصعب حكمـها، أما البلدان التى تقل فيها التناقضات مثل مـصر فـمن الصعـوبة بمكان الوصول إلى السلطة فيها لكن من اليسير حكمها.

ضريح همايون

جلس شيرشاه على عرش الدولة المغولية خمس سنوات تمكن خلالها من الانتصار على الأمراء الهنادكة، وتأمين الحدود الشمالية الغربية للهند.

ومع أن شيرشاه لا ينتسب إلى الأسرة التيمورية لكنه من الناحية الموضوعية يعتبر امتدادا لحكم هذه الأسرة، لنزوعه إلى الإصلاحات المتميزة، ورعايته لمصالح الجماهير، واستيعابه الجيد لرسالة الحاكم.

ورغم مدة حكمه القصيرة استطاع السيطرة على معظم الشمال الهندى، وأنشأ فى البلاد نظاما إداريا مستقرا رغم عدم استحواذه على تأييد الأفغان جميعهم، فقد كان قتاله بالدرجة الأولى استجابة لقدراته الفذة كرجل داهية، وقائد واسع الحيلة وعقلية إدارية فذة.

وتوفى شيرشاه فى ٢٢ مايو ١٥٤٥م، ولم يكن خلفاؤه رغم قوة بعضهم قادرين على الحفاظ على قوة الدولة وتماسكها، مما أعطى الفرصة للقوى المناوئة فى البلاد لإثارة الفتن والاضطرابات، كما شجع همايون على استعادة عرشه المفقود.

كانت زوجة همايون قـد أنجبت له خلال نفيه ولدا أسماه محــمدا تبركا بهذا الاسم، لكن أهل الهند أطلقوا عليه «أكـبر» ومعناها البالغ فى عظمتـه حدا بعيدا، ففى دمائه تجرى دماء جنكيزخان وتيمورلنك وبابر.

وقد تولى جلال الدين محمد أكبـر عرش الدولة التيمورية فى الهند فى ١٤ فبراير ١٥٥٦م ولم يكن قد بلغ الرابعة عشرة من عمره، ورغم أنه لم يكن يقرأ أو يكتب لكنه عرف قيمة الكتب فى مرحلة متأخرة من حياته، فكان يجلس ساعات يستمع إلى ما يقرأ له ويتذكر خلاصة لما سمعه نظرا لتمتعه بذاكـرة قوية. وقد عرف عنه تعمقه بشكل خاص فى شـئون الدين والفلسفة والعلم، وكثيـرا ما دفعه تعمقـه فى الفلسفة إلى حفظ شعـر الصوفية، وإلى الخروج إلى الصحـراء لقضاء ساعات يتـدبر خلالها فى شئون الحكم، وكـثيرا ما كانوا يقرأون لـه كتبا صعبـة، حتى أصبح فى نهاية الأمر عالما رغم عدم قراءته، محبا للآداب والفنون.

وعندما تولى أكبر كانـت الأوضاع السياسية فى الهند تتردى فى حالة سـيئة للغاية، فوالده همايون لم تتح له فرصـة كافية لتوطيـد سلطانه بعد استرداد ملكه، وشـقيقه ميـرزا حكيم يستقل بكابل ويرنو ببصرة صوب عرش الهند، ومحمد عادل شاه وإسكندر سور خلفاء شيرشاه يتنازعون السيـادة فى البنجاب، والأمراء الأفغـان يسيطرون على البنغال، وسـواحل الهند الغربية خاضـعة للنفوذ البرتغـالى، والأمراء الراجبوتيـون يدعمون سلطانهم فى مناطق مخـتلفة، وبعض الإمارات الإسلامـية منشقة على سلطـان الدولة، ومناطق أخرى من شبه الجـزيرة الهندية خاضعـة لسيطرة زعمائها المحليين.

وقد واجه تلك الأوضاع السياسية السيئة، وخاض معارك عسكرية واجتماعية، واتبع بعض الأساليب السياسـية التى حققت له السيادة فى شبه الجـزيرة الهندية، وكانت أهم المعارك العسكرية التى خاضها مع خلفاء شيرشاه الذين تمكنت قـوات الدولة من هزيمتهم، كما تمكنت من الانتصار على القائد الهندوكى همو فى معركة بانيبات الثانية عام ١٥٥٦ واستعادت منه دلهى وأجرا ومناطق أخرى.

وقد تمكن أكـبر بعد ذلك من التـخلص من بيرم خـان الوصى على العرش وبعض قادة الجيش الآخرين، كما تخلص من نفوذ حاشيته، وأصبح مسيطرا على مقاليد الأمور فى الدولة من عام ١٥٦٢م حتى وفاته.

واستطاع أكبر بعد تخلصه من نفوذ قواده واكـتسابه محبة الهنادكة أن يحقق أمـرين هامـين : الأول هو تدعـيم سلطة الدولة عن طريق نـظام مركـزى قـوى ومستنير، والثانى أن يوسع نطاق دولته كى تشمل معظم أنحاء شبه الجزيرة الهندية وبعض المناطق الأخرى الواقعة خارج الهند، ولذلك فقد شن أكبر خلال الفترة بين عامى ١٥٦٤م حتى ١٦٠١م، عددا من الحـملات العسكرية داخل الهند وخـارجها استطاع بها أن يسـتولى على إمارة غوندوانا إحدى الولايات الراجبوتية فى وسط الهند وإمارة موار ذات القلاع الحربية الحصينة، وإمارة الجوجـرات ذات الثراء والموقع الجغرافى الهام، وإمـارة البنغال مركز الثوار الأفـغانيين، ثم إمارة كابل مهد الحكم المغولى فى الهند والقاعدة الخلفية للدولة والمركز البشرى للجنود الشجعان، وإمارة كشـمير ذات المناظر الطبـيعية الأخّـاذة، ثم بلوخستان التى دخلت فى حـوزة الدولة للمرة الأولى، ثم قندهار التى كـانت واقعة تحت تهـديد الأزابكة، وأخيرا منطقـة الدكن التى طالما هدد

الأمير عادل شاه – مرسوم فى عام ١٦١٥م

(أكبر) فى إحدى فتوحاته على النهر فى الهند

أمراؤها كيان الدولة المغولية، وبذلك تمكن أكبر من فرض سيطرته على معظم أجزاء شبه الجزيرة الهندية، وعلى الأراضى التى كانت تكون جزءا من الدولة المغولية خارج الهند، كما استطاع أن يضم إلى دولته مناطق جديدة لم يسبق خضوعها للدولة.

ولم يكن إخضاع معظم تلك الإمارات لأكبر أمرا سهلا، فقد كانت هناك مقاومة مستميتة سواء من الثوار الأفغان أو الأمراء الهنادكة، وخاصة الراجبوتيين منهم مما كان محل تقدير أكبر وإعجابه، حتى أنه عهد إلى بعضهم بحكم الأقاليم أو قيادة القلاع، وعامل الآخرين معاملة طيبة.

ولم يقدر لأكبر أن يتابع توغله فى جنوب الهند حتى يضم إلى دولته إمارة فيجاينجار الهندوكية، فقد توفى عام ١٦٠٥م قبل أن يحقق هذا الهدف، لكنه استطاع أن يقيم وحدة سياسية شملت معظم أجزاء شبه الجزيرة، وأحرز الانتصارات فى كل المعارك التى خاضها، وأمن حدود الهند الشمالية الغربية، ونشر السلام والأمن فى ربوع الدولة.

وقد تميز عهد أكبر بظاهرة أخرى تستحق كثيرا من الاهتمام والتفكير، وهى ذلك الدين الإلهى الذى أعلنه أكبر عام ١٥٨٢م وأراد به أن يعالج قضية تعدد الأديان فى المجتمع الهندى بهدف خلق وحدة سياسية واجتماعية ودينية بين أهالى شبه الجزيرة الهندية.

فقد حاول أكبر اعتبارا من عام ١٥٧٥م أن يقرب بين المذاهب الإسلامية المختلفة من أجل توحيدها فى مذهب واحد، فكان يجمع العلماء والفقهاء من أهل السنة والشيعة فى دار خاصة أنشأها لهذا الغرض «عبادة خانة»، حيث تدور مناقشات عقائدية مختلفة كان أكبر يحرص على حضورها، لكن هذه المناقشات لم تؤدِّ إلى تقريب بين تلك المذاهب بل على العكس من ذلك زادت شقة الخلاف.

أبو الفضل يقدم الجزء الثانى من مخطوط أكبر نامة للإمبراطور أكبر

ونتيجة لذلك فقد اتفق العلماء جميعهم على أن يكون أكبر هو صاحب الحق فى إصدار الفتاوى الدينية، وأصبح بهذا التفويض صاحب السلطتين الدينية والزمنية فى نفس الوقت.

وكانت الخطوة التالية هى تفكير أكبر فى إنشاء مذهب جديد يوحد به بين الإسلام والديانات الهندوكية المختلفة، فقام بدعوة علماء الهند إلى المشاركة فى المناظرة والحوار.

٢٢

وفى الوقت الذى كان الكاثوليك يفتكون بالبروتستانت فى فرنسا، والبروتستانت ـ فى عهد اليصابات ـ يفتكون بالكاثوليك فى إنجلترا، ومحاكم التفتيش تقتل اليهود فى إسبانيا، كان أكبر يوجه الدعوة إلى ممثلى الديانات كلها فى دولته ليعقدوا مؤتمرا، وتوصل مع هؤلاء العلماء إلى ضرورة الاتفاق حول مذهب جديد يضم أفضل ما فى الديانات المختلفة من مزايا حتى يمكن للجماعات المختلفة فى الهند أن تعيش فى سلام ووئام.

وقد استمد هذا المذهب الذى سمى بالدين الإلهى أصوله من الديانات المختلفة، فقد أخذ من الإسلام فكرة الوحدانية، وأخذ من المسيحية اعتبار يوم الأحد هو يوم الاحتفال بمعتنقى الدين الجديد، وأخذ من الهندوكية الامتناع عن أكل اللحوم، وأخذ من الديانة الآرية فكرة تقديس الحاكم، وأخذ من الوثنية عبادة الشمس والنار.

ولم يكتف بأن أخذ عن الديانات المختلفة بعض أسسها ومظاهرها بل إنه دعا إلى أعمال منافية للدين الإسلامى، فقد منع مثلا دراسة القرآن والحديث، وأباح السجود للإمبراطور، كما استبدل بالتقويم الهجرى تقويما سماه «التقويم الإلهى» يبتدئ بسنة جلوسه على العرش، وأوقف الحج إلى بيت الله الحرام وصيام شهر رمضان، وبذلك منع تنفيذ بعض الأركان التى يقوم عليها الدين الإسلامى.

ويختلف الباحثون حول تلك الأسباب التى دفعت أكبر إلى اعتناق الدين الإلهى، فمنهم من أرجع ذلك إلى نظرته الدينية الرحبة وكرهه للتعصب الدينى، ومنهم من اعتبر ذلك نتيجة لتعمقه فى مسائل الفلسفة والتصوف، ومنهم من اعتقد أن أكبر كان صادقا فى محاولته التوفيق بين الديانات المختلفة، ومنهم من أرجع ذلك إلى دوافع سياسية بهدف توفير الاستقرار للدولة.

ولا شك أن تلك العوامل قد ساهمت جميعها فى ابتداع أكبر لهذا الدين، لكن يعتقد أن الهدف السياسى كان هو العامل الرئيسى فى هذا الشأن، وأن أكبر كان حريصا على التخفيف من حدة الخلافات المذهبية بين السكان تدعيما لسلطان الدولة وإزالة للفوارق بين الطبقات حتى لو ترتب على ذلك خروجه على بعض تعاليم الإسلام وأركانه.

ومن الإنصـاف أن يقال أن ظهـور هذا الدين كان مـرتبطا بإصدار عـدد من التشريعات الهامة مـن أجل القضاء على بعض العادات الاجتماعية السيـئة المتفشية بينهم، فقـد حرم مثلا شرب الخـمر وعصرها وحـرم زواج الأطفال، وأوقف نظام الرقيق بالنسبة لأسـرى الحرب، وأباح زواج الأرامل، ومنع عادة حرق الأرملة عند موت زوجـها، كمـا منع اغتسـال النساء والرجال فـى الأنهار سويا ومـشى النساء كاشفات وجـوههن، كما منع ذبح الحيوان للقـرابين، وفتح المناصب لذوى الكفاءة بغض النظر عن عقيدتهم أو جنسهم.

وكان طبيعـيا أن يحدث هذا الدين رد فعل مضاد لدى مسلمى الهـند حتى انتهى الأمر بهم إلى شق عصا الطاعة علنا، وإثارة الأمير جهانجيـر ضد أبيه حيث أخذ يدبر له المكائد خفية، وقتل أبا الفضل مؤرخ القصر وأحب الأصدقاء إلى أبيه، ثم أعلن نفسه إمبراطورا لكن أكبر حمل الأمير على التسليم وعفا عنه بعد يوم واحد، لكن خيانة الابن حطمت قوته النفسية.

كما وجد الدين الإلهى معارضة قوية من بعض العلماء المسلمين الذين رأوا فى عملية المزج بين الأديان تناقضا وخروجا على مـا تمثله تلك الأديان من مبادئ وأركان. وكان على رأس هؤلاء أحمد سـرهندى الذى قاوم الدين الجديد، وعمل على تخليص الإسلام من البـدع والخرافات التى لحقت به، والعـودة بالدين الإسلامى إلى منابعه الأولى وقـد لقيت تلك الحركـة نجاحا كبـيرا بين مسلمى الهند.

ولا شك أن ظهور الدين الإلهى قـد خفف من العداء الذى يكنه الهنادكة للدولـة المغولية، وأضـعف من روح التـعصب الـسائدة فى الـهند، وأعطى الفـرصة لأكـبـر كى يتـابع فتـوحـاته وإصلاحاته، لكنه من ناحـية أخرى لم يترك آثارا عمـيقة فى المجتمع الهندى، بل كان اسـتمراره مرتبطا ـ إلى حد كبير ـ بحياة أكبر نفسه لأنه لم يكن عـقيدة دينية متميزة، بل كان خليطا متناقضا من عقائد مختلفة قد يحقق بعض المكاسب الـسياسية، وقد يرضى بعض الجماهير، لكنه لم يكن صالحا للبقاء نظرا لتناقض تلك الديانة مع أصول الديانات والعقائد القائمة فى شبه الجزيرة.

ولم يكن النجـاح حليف «الدين الإلهى». لقد التف حـول الدين الجديد بضـعة آلاف من الناس معـظمهم يطمع فى اكـتساب الحظوة لدى الدولـة، لكن الأغلبية الـعظمى ظلت متـمسكة بآلهتها، لكنه من الناحيـة السياسية كان له بعض النتائج، فقد أطلقت الحـرية للعقائد الدينية كلها باستـثناء اضطهاد مسلمى الهند فـترة من الزمن، كمـا كسب أكبـر إلى جانبه ولاء الهنادكـة حتى أولئك الذين لم يعتنقوا منهم تلك الديانة الجديدة.

لكن هذا الولاء كان صوريا أكثر منه حقيقى، فعندما مات أكبر لم يكن إلى جانبه إلا طائفة قليلة من أصدقائه المقـربين، ولم يجد من يصلى عليه من أنصار أية عقيـدة أو مذهب، ولم يشيع جنازته عدد كبير من الناس، فكانت نهايته مريرة.

من العادات الهندوسية - حرق الزوجة بعد موت زوجها - (كتاب تاريخ العسكرية)

ورغم كل ما يقال عن ذلك الدين الإلهى، فلا شك أن سلطان الدولة قد تدعم فى عهد أكبر، ونعمت البلاد بالاستقرار والمساواة والتقدم، وتميز عهده بأسلوب جديد فى الحكم والإدارة والالتحام بالجماهير ورعاية العلماء، وكان هو نفسه قدوة فى سلوكه وزهده وشجاعته، وأصبحت الهند خلال حكمه أغنى دول القارة الآسيوية وأكثرها هدوءا واستقرارا، واعتبره كثير من المؤرخين أعظم حاكم فى تاريخ الهند الحديث، كما اعتبر آخرون دولته أقوى دولة على وجه الأرض طرا.

خريطة الهند فى عهد (أكبر)

السلطان جهانجير
(١٦٠٥-١٦٢٧م)

هو سليم الابن الوحيد لأكبر، وقد تولى مقاليد الحكم فى ٢٤ أكتوبر ١٦٠٥م بعد وفاة أبيه أكبر الذى توفى فى ١٧ أكتوبر ١٦٠٥م. وقد تلقب سليم باسم الغازى نورالدين محمد جهانجير.

جها نجير يتسلم فنجالا من خسرو - أجرا - عام ١٦٠٥ أو ١٦٠٦م

وكان جهانجير قد سبب لأبيه متاعب كبيرة خلال السنوات الخمس الأخيرة من حياته، فقد استغل غياب والده فى الجنوب فمارس الاستقلال فى منطقة إله أباد، كما أدمن الشراب، لكنه تمكن من استعادة ثقة أبيه قبل موته.

وقد واجهت جهانجير طوال مدة حكمه صعوبات متعددة تمثلت فى تمرد ابنه خسرو عليه، وثورة الأفغان فى إقليم البنغال، وثورة الراجبوتيين فى موار، ثم مقاومة قبائل المراتها فى هضبة الدكن، وأخيرا استيلاء الفرس على قندهار.

وقد تمكن جهانجير من التغلب على الكثير من تلك الصعوبات، حيث أوقع الهزيمة بابنه خسرو، كما تمكن من إخضاع الأفغان فى البنغال، لكن جهانجير عمل بعد ذلك على استرضاء الأفغان، ففتح لرجالهم أبواب جيشه، وتمكن من استمالتهم بوسائل أخرى، مما جعل الأفغان يكفون بعد ذلك عن محاولة الاستقلال عن الدولة.

عملة من عهد جها نجير - مرسوم عليها برج الجوزاء

وأما بالنسبة للراجبوتيين فى موار فقد شن عليهم جهانجير عدة حملات مما اضطرهم فى النهاية إلى طلب التفاهم مع السلطة التى رحبت بذلك وعملت على استرضاء الراجبوتيين.

وقد واصل جهانجير سياسة التوسع فى هضبة الدكن، وتمكنت قواته من ضم مناطق جديدة، والسيطرة على بعض المراكز الإستراتيجية الهامة، وخاصة حصن كنجرا الذى عجز كل الفاتحين المسلمين منذ عهد محمود الغزنوى عن الاستيلاء عليه.

لكن قبائل الدكن لم تلبث أن استردت تلك المناطق، وتقلصت مساحة الدولة إلى ما كانت عليه فى عهد أكبر، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب؛ أهمها توفر المزايا الدفاعية فى هضبة الدكن، واستماتة قبائل المراتها فى الدفاع عن الهضبة.

وأما عن سقوط قندهار فى يد الفرس فقد تم ذلك عام ١٦٢٢م فى عهد الشاه عباس الصفوى، وقد حاول جها نجير استعادتها لكنه لم يتمكن لعدة أسباب أهمها تمرد ابنه شاهجان عليه، وعدم متابعته قيادة الحملة التى كلفها جهانجير باستعادة المدينة.

وأما عن سمات جهانجير الشخصية فقد كان يتمتع بمواهب وقدرات عديدة، لكن تلك المواهب والقدرات تأثرت بإدمانه المسكرات ووجود تناقض فى شخصيته رغم قوتها، فقد كان قاسيا إلى درجة كبيرة، لكنه كان فى نفس الوقت موهوبا بحس جمالى رائع وحب حقيقى للطبيعة.

وقد تميز عهد جهانجير بظاهرة جديدة خلال الحكم التيمورى، وهى سيطرة زوجته نورجهان على مقاليد الحكم فى البلاد منذ زواجهما عام ١٦١١م حتى ١٦٢٧م، وخاصة خلال السنوات السبع الأخيرة من حياته والتى أصيب فيها بمرض شديد.

وكانت نورجهان ذات جمال رائع وثقافة كبيرة وقدرة على فهم المشكلات وإيجاد الحلول لها مما أوقع جهانجير أسيرا لمواهبها، ولم تصبح نورجهان مجرد كونها سيدة البلاد الأولى، وإنما أصبحت القوة السياسية الكبيرة فى الدولة. وبلغ من افتتان زوجها بها أن ضرب النقود باسمها، وهى حالة فريدة فى تاريخ العملة الإسلامية كما يذكر المؤرخ جمال الدين الشيال.

وقد نجحت نورجهان فى أن تجعل الأمير شهريار زوج ابنتها هو وريث جهانجير متجاهلة شاه جهان الابن الأكبر لجهانجير، لكن شاه جهان تمكن بعد موت أبيه من الزحف من هضبة الدكن حيث هزم شهريار، وتولى عرش الدولة المغولية.

وكان من مظاهر قوة الدولة فى عهده أن مندوب ملك إنجلترا ظل فى الهند فترة طويلة يحاول مقابلته لأخذ كتاب لملك إنجلترا، لكنه لم يظفر بما يريد، وقيل له فى النهاية: «أنه مما لا يناسب قدر ملك مغولى مسلم أن يكتب كتابا إلى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون».

السلطان شاه جهان (١٦٢٨-١٦٥٨م)

ولد شاه جهان عـام ١٥٩٢م من أم هندوكية، وكان يتميـز عن إخوته بكثير من الصفات الطيـبة؛ مثل عزوفـه عن الشراب وعدم إقباله على الـلهو. وقد تولى عرش الدولة فى فبراير ١٦٢٨م، ولقب بشهاب الدين محمد شاه جهان.

وكان عصـره عصر رخاء ورفاهيـة لم تشهد الهند له مثـيلا منذ قيام الدولة المغـولية، وقد ساعد على ذلك ما تجمع فى خزائنه من الثروات الضخمة التى خلفها له أبوه وأجداده.

السلطان شاه جهان

وقد واجـهته عدة صـعوبات نجح فى مواجهة بعضها ولم يوفق فى مواجهة أخرى. فقـد نجح فى توطيد نفوذ الدولة فى هضبة الدكن. وقد ساعده على ذلك خبرته السـابقة بشئون الهضـبة وحدوث مجاعة وانتشـار بعض الأوبئة، وتقديمه دعما كبيرا لقبائل المراتها.

أما الصعوبات التى لم يتمكن شاه جهان من مواجهتها فتتمثل فى أمرين:

الأول: هو فـشل سـياسـتـه فى وسط آسـيا واضطراره إلى التنــازل عن بعض المـناطق الهـامة خـارج الهند مـثل بـلـخ، ويــرجـع ذلـك بالدرجة الأولـى إلى عدم تقبل الأمراء والقادة المغول فكرة الخـــدمـــة فـى تلك المناطق البعيدة، بالإضافة إلى فشلهم فى اكتساب تعاطف السكان فى وسط آسيا.

عملة ذهبية من عصر شاه جهان ضرب باسم شهاب الدين شاه جهان - أكرا سنة ١٦٢٨م/ ١٠٣٨هـ

الأمير دارا

أما الأمـر الثانى: فهو مـحاولة شاه جهان استعادة قندهار من يد الفرس حـيث قام الحـاكم الفـارسى فى قندهار بتسليمها للمغـول نتيجة خلافه مع الشاه الفارسى، لكن الفرس بعـد ذلك نجحوا فى اسـتعـادة المدينة من يـد المغول عـام ١٦٤٩م بسبـب تأخر المغـول فى إرسال القوات الكافية إلى المدينة والنقص الكبير فى مدفعية المغول.

وقـد توفـى شـاه جـهـان عـام ١٦٦٦م، لكنه كان قد فـقد سلطانه قبل ذلك بثمـانى سنوات، بسبب رغبـته فى إسناد ولاية العـهـد إلى ابنه الأكبـر دارا وحـدوث صراع بين أبنائه الأربعـة تمكن خلاله ابنه الثالث أورنجزيب من الانتصار على إخوته، وتولى عرش الدولة المغولية عام ١٦٥٩م.

هو أبو المظفر محيى الدين محمد أورنجزيب الذى يعتبره المسلمون الحاكم الزاهد المتمسك بالشريعة الإسلامية العامل على إحيائها، وقد ولد عام ١٦١٩م وتربى تربية دينية على يد كبار العلماء حتى أصبح متبحرا فى العلوم الدينية.

وقد تولى أورنجزيب عرش الدولة المغولية فى ٢٢ يوليو ١٦٥٨م، بعد صراع كبير دار بينه وبين إخوته الثلاثة حول ولاية العرش مما دعا بعض المؤرخين إلى أن يطلقوا عليه «حرب الوراثة»،
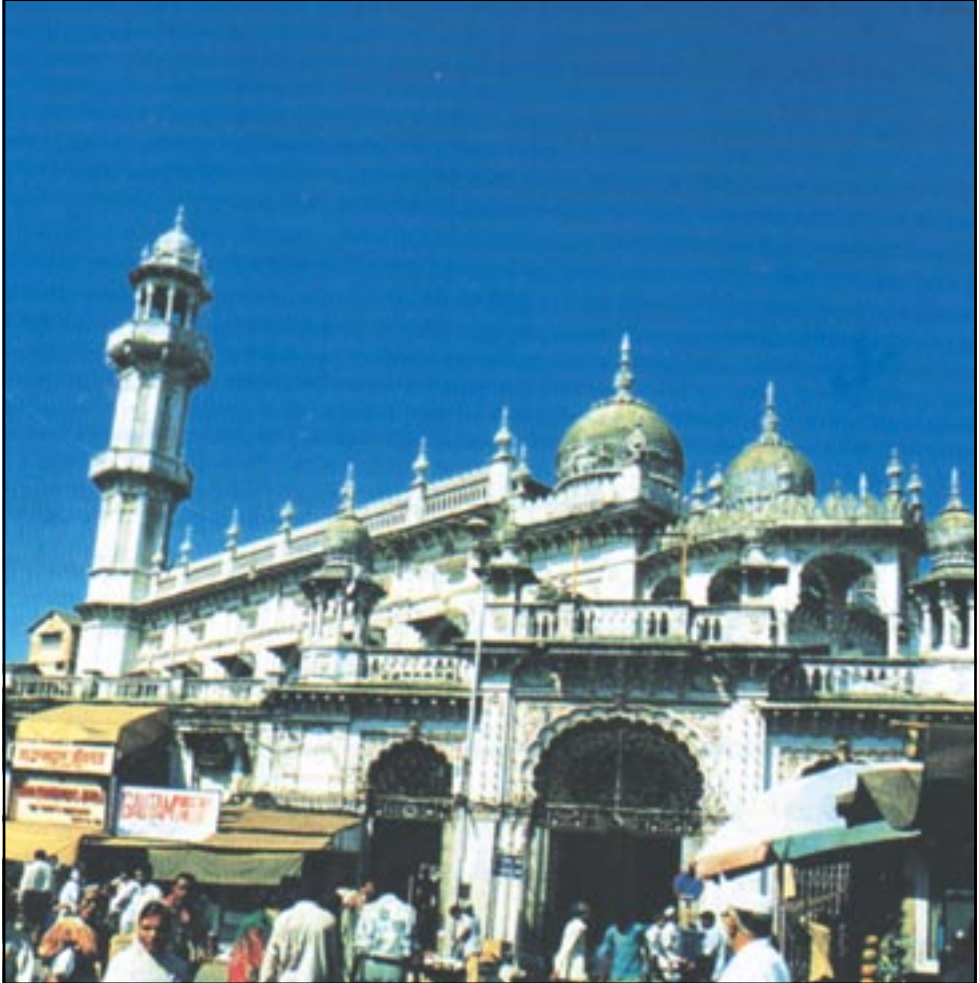
المسجد الكبير – بومباى

لكن أورنجزيب لم يحتفل بتقليده مهام السلطة إلا فى ٥ يونية ١٦٥٩م، وأغلب الظن أن ذلك يرجع إلى حرصه أولا على تصفية كل القوى المناوئة لسلطانه.

وقد اتخذ أورنجزيب دهلى عاصمة له، وتلقب بمحى الدين حيث عمل طوال حياته على إحياء الدين واتباع أحكامه.

تنقسم مدة حكم أورنجزيب إلى مرحلتين متساويتين تقريبا: **المرحلة الأولى** من عام ١٦٥٨م إلى ١٦٨١م وهى التى قضاها فى الشمال الهندى، **والمرحلة الثانية** من ١٦٨٢م إلى ١٧٠٧م هى التى قضاها فى الدكن. فخلال النصف الأول من عهده كان الشمال الهندى هو مسرح النشاط العسكرى المغولى، وخلال تلك المرحلة كان شيفاجى زعيم قبائل المراتها فى الجنوب يحاول أن يجعل من المراتها شعبا مناوئا للسلطة المغولية بالرغم من أنه لم يتوج رسميا كملك مستقل على تلك القبائل إلا فى عام ١٦٧٤م. وأما فى المرحلة الثانية فكان الإمبراطور وبلاطه وجنوده وأفضل ضباطه فى الجنوب حيث كان هناك محاولات انفصالية فى هضبة الدكن.

درس قرآن فى الحديقة - جلسة صوفية

وقد استطاع أورنجزيب خلال مدة حكمه الطويلة أن يخمد التمردات الهندوكية وأن يقضى على المحاولات الانفصالية لكنه لم يستطع أن يوفر الأمن والسلام فى المناطق المتمردة لأسباب متعددة منها قضاءه فترة طويلة بالدكن بهدف تأديب قبائل المراتها وقمعها، ولقد نجح فى ذلك فعلا لكن ترتب على تلك الحملات المستمرة إنزال الخراب والدمار بمناطق الجنوب.

وقد حكم أورنجزيب الهند حكما إسلاميا حازما لم تُحكم به الهند من قبل أو من بعد، ونتيجة لذلك كان هدفا لهجمات مغرضة شنها عليه المؤرخون غير المسلمين الذين وصفوه بالتعصب

واعتبـروه متعطشا لسـفك الدماء، لكنه لم يكن كذلك، كل مـا فى الأمر أنه كان مسلما متمسكا بدينه حريصا على رفع راية الإسلام وتنفيذ أحكامه.

أما المؤرخـون المسلمون فقـد اعتبـروه أعظم إمبراطور مـغولى، بل اعتـبره بعضهم الخليفة المسلم السادس بعد عـمر بن عبدالعزيز، أما المؤرخون المسلمون من الشيعة فقـد شوه بعضهم سمعته؛ لأنه قضى على نفوذ الشـيعة فى الجنوب فأصبح متعصبا فى نظرهم.

لقد أراد أورنجزيب أن يجعل من الدولة المغوليـة دولة مسلمة خالصة تدين بالمذهب السنى، وتبنى من أجل تحقيق هذا الهدف عـدة إجراءات، فقد عمل على مقاومـة التيارات المعادية للدين، وألغى ما تبقى من قواعد الدين الإلهى، واهتم بتعمير المساجد ومنع الرقص وتحريم الخمور والميسر إلى غير ذلك من الأعمال.

ولعل الدولة المغولية فى الهند لم تعرف فى تاريـخها حاكما مثل أورنجزيب اشتـهر ببساطته وتقشفه، فكان يعيش كما يعـيش متوسطو الحال من الناس، ولم يكن يميل إلى الأثاث الفاخر أو الرياش الوثير أو القصور المشيدة، ولم يشرب الخمـر قط، كما لم يستعمل الذهب أو الفضة. ولم يكن يتقاضى راتبا من أموال الدولة، فقد كان يأكل من عمل يده، سواء من صنع الطواقى أو نسخ القرآن الكريم وبيعه.

ولقد بدأ أورنجزيب إصلاحـاته بالبلاط السلطانى فألغى كثيرا من العـادات الوثنية التى كان موظفو القصر يتبعونها مـثل السجود للسلطان، وأبطل عادة تقديم الهدايا للسلطان أو للولاة، كما ألغى الضرائب العديدة غير الشرعية، وأقر الزكاة من المسلمين والجزية من غير المسلمين بعد إلغائها فى عهد أكبـر واستمرار إلغائها بـعد حكم أكبر أكثر من مـائة عام فى عهدى جهانجـير وشاهجان ومدة كـبيرة من عـهد أورنجزيب؛ لذلك كـان لفرضهـا وقع سيئ فى نفوس الـهنادكة الذين ثاروا وتجمعوا مـحتجين، لكن الإمبراطور أصـر على تنفيذ الشريعة بهدف نشـر الإسلام والقضاء على الإلحـاد، ولم يكن فى ذلك متـعنتـا، حيث إنه من ناحـية أخـرى ألغى بعض الضـرائب التى لم تفرضها الشريعة وأعفى الهنادكة وغيرهم منها.

وكان هناك ردود فعل لتلك السيـاسة فى المجتمع الهندى، فقد احتج شـيفاجى على الجزية فى رسالة أرسلها لأورنجزيب، واعترض آخرون عـن طريق التحالف مع غيرهم ضد الدولة، بينما كان هناك تأيـيد ظاهر من بعض القـوى الهندية الأخرى، لكن القـوى الهندية المختلفـة كانت فى حقيقة الأمر متحمسة لتلك السياسة الدينية التى اتبعها أكبر خلال حكمه.

لوحة جصية - (الملك لله) - العصر المغولى الهندى. ق ١٥ م

ولــم يــكــن أورنجزيب يسمح بأية أعــمال أو تجـاوزات خـارجــة عن نظام الدولة وقـوانـينهـا، فلقد أبعد كـثيرا من الهنادكة عن مناصب الدولة الكبرى، وهــدم بعض المعابد الهندوكية التى لــم يحصل ترخيص سـابق ببنائهـا، وكـان عنيـفـا مـع الهنادكـة ـ وخاصة الـراجبوتيـين ـ الذين عـارضوا أو امتنعـوا عن دفع الجزية، ولم يكن هناك اسـتثناء لأى شخص قـادر على دفعها. ولقـد كان أورنجزيب يرى فى تلك السياسة لا مجرد دعم لنظام الدولة وتأكـيد لاتجاهها العقائدى وإنما إعلاء لكلمة الدين وجهادا فى سبيل الله، فهو لم يستخدم الدين فى خدمة السياسة كما فعل أكبر، وإنما وضع كل شىء فى خدمة الإسلام، وواجه تناقضات الهند ومشاكلها من موقف واضح محدد.

وإذا كان أورنجزيب قد حارب الراجبوتيين والمراتها وأخضعهم، فقد حارب مملكتى بيجابور وكولكنده المسلمـتين وأخضعـهما، بل حارب إخـوته من أجل استقرار الحكم، لكنه كـان يحسن التعامل مع خصومه بعد استـسلامهم له، ويغدق عليهم ويوليهم المناصب رغم تكرر الإساءة منهم ونقضهم للعهود.

ولو كان متعصبا لما سلم قيادة جيوشه لقواد من الهندوس، ولو كان متعصبا لهدم كل المعابد بما فيهـا المعابد القديمة التى ما زلنا نراها فى مـدن الهند الكثيرة مثل دلهى وأكـرا وغيرها. ولكنه هدم المعابد التى أقيمت دون ترخـيص أو لضرورات حربية أو وقتية. ودليلنا على عـدم تعصبه أنه حين أشير عليه بفصل الموظفين الذين لا يدينون بدين الدولة من المناصب العامة كتب يقول : «إن الدين لا علاقة له بالمسائل العلمـانية، وهذه المسائل التى نحن بصددها لا مجال فيـها للتعصب». فالـتعـصب الذى يؤدى إلى الظلم لم يكن مـوجودا فى عـهد أورنجـزيب، لكن التعـصب بمعنى الإخلاص للدين الذى يحرم الظلم هو الذى كان مستوليا عليه حقا.

وتوفى أورنجزيب عام ١٧٠٧م (١١١٨هـ)، وكان قـد أوصى قبيل وفاته أن يكتفى عند موتـه بجنازة بسيطة، وألا يتكلف ثمن كفنه أكثـر من خمس روبيات، وأن يوارى القبر فى هدوء، وأن يتصدق على الفقراء بثلاثمائة روبية كانت هى كل ثروته عند وفـاته، وهكذا كان أورنجـزيب عظيمـا فى مماته مثلما كان عظيـما فى حياته.

كان أورنجزيب آخـر سلاطين الدولة التيمـورية (المغولية) الأقوياء، وقـد تعاقب على حكم البلاد بعـد أورنجزيب عدد من السـلاطين الضعـاف أسهموا واحـدا بعد الآخر فـى تبديد سلطان الدولة، وتمكن خصوم الدولة فى الداخل مثل الراجبوتيين والسك والمراتها من توجيه ضربات قوية إليهـا، كمـا تمكن الفرس والأفـغان من غـزو الهند والاستـيلاء على مناطق مـختلفـة، واستـفاد المستعمرون البريطانيون من ذلك كله فى الإجهاز على تلك الدولة مستخدمين أساليب الدبلوماسية والمراوغة والرشوة وغيرها، مستفيدين من تلك الامتيازات التى منحها بعض سلاطين الدولة لشركة الهند الشرقية.

ونتيجة لذلك كله تقلص نفوذ الدولة التيمورية (المغـولية) ليصبح مقتصرا على منطقة دلهى التى سقطت فى يد البـريطانيين عام ١٨٠٣م، وانتـهى سلطان الدولة من الناحية الفـعلية وإن ظل آخر سلاطينهم بهادر شاه الثانى يجلس على عـرش الدولة حتى عام ١٨٥٧م، عندما قامت الثورة الوطنية فى الهند ضد نشاط شركة الهند الشرقية، وبإخمادها انتهى عهد الدولة التيمورية (المغولية) فى الهند، وتمكن البريطانيـون من السيطرة على شبه الجـزيرة الهندية ووضعها تحت سـيطرة التاج البريطانى لتبدأ صفحة جديدة فى تاريخ الهند الحديث.

خريطة الإمبراطورية المغولية فى نهاية القرن السابع عشر

عملة ذهبية - مهر مغولى باسم

محمد شاه

دار الضرب سلطنة لاهور سنة

١٧٤٣م/ ١١٥٥هـ

موقف الدولة التيمورية من الأجانب

أولا: البرتغاليون

فى الوقت الذى كان الاستعمار البرتغالى يوسع نفوذه ويدعم احتكاراته فى شبه الجزيرة الهندية منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى بدأت تتكون فى الشمال الهندى منذ بداية الربع الثانى من القرن السادس عشر دولة إسلامية كبيرة هى الدولة التيمورية (المغولية) التى حكمت فى الهند أكثر من ثلاثة قرون من الزمان.

ولم يتح للسلطان بابر مؤسس الدولة التيمورية (المغولية) الاحتكاك بالبرتغاليين أو التعامل معهم، فقد كان نفوذهم البرى مركزا على الساحل الغربى لشبه الجزيرة الهندية.

مسجد حاجى على - مزار وسط مياه خليج بومباى

وأما فى عهد همايون فقد كانت إحدى الحروب التى خاضها مع مناوئيه هى حرب الجوجرات التى كان يقودها بهادر شاه الذى دعم علاقاته مع البرتغاليين الذين أيدوه ببعض الأسلحة التى استعان بها فى حربه مع همايون، والتى انتهت بهزيمة بهادر شاه ولجوئه إلى البرتغاليين فى جزيرة ديو، أى أن البرتغاليين فى عهد همايون بدأوا فى التدخل غير المباشر فى شئون الدولة المغولية من خلال دعمهم لخصوم همايون، كما أنهم ساعدوا بهادر شاه بعد ذلك على السيطرة على معظم أراضى الجوجرات أهم مراكز الهند التجارية.

وأما فى عــهد جلال الدين مــحمد أكــبر فقد رأى هــذا السلطان من حسن السياسة أن يقيم علاقات طيبة مع البرتغــاليين فى الساحل الغربى يضمن بها تجميد نشاطهم ضد الدولة، ويستفيد فى نفس الوقت من أية مساعدات يقدمونها له.

فعندما خرج فى عــام ١٥٧٢م إلى إقليم الجوجرات واحتل عاصمــته أحمد أباد سار جنوبا إلى خليج كمباى حيث رأى البحر لأول مرة فى حياته. وكان لقاؤه الأول مع البرتغــاليين حيث ذهل لما رآه من عظمــة سفنهم وتنوع أسلحتهم وكــثرة تجارتهم، فعقد مــعهم اتفاقا بشأن سلامة الحجاج المسلمين الذين يســافرون بحرا من ميناء سورات قاصدين الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج.

بل إن أكبــر طلب من البرتغــاليين أن يرسلوا إليه بعض رجــال الدين المسيــحى كى يطلعوه على تعاليم المســيحية، وأرسل البــرتغاليون إليه عــدة بعثات دينية، وكــانوا يأملون أن يتمكنوا من استمالته إلى اعتناق الديانة المسيحية، ووجدوا فى بعض مواقفه ما عمق هذا الانطباع عندهم، فقد سمح لهم ببناء بعض الكنائس والتبشــير بالمسيحية، كما منحهم بعض الامــتيازات التجارية، لكن هذه البعثات رغم إقامتها بالدولة المغولية سنوات عديدة لم تستطع تحقيق نتائج ذات بال، فقد أدرك الآباء الجزويت أن أكبر ليس مسلمــا حق الإسلام لكنه يشك فى جميع الأديان: لأنه يجد فى كل دين أمورا لا تتفق مع تفكيره، حيث إنه كان يريد معالجة الأمور كلها بالعقل لا بالإيمان.

وأما السلطان نور الدين محمــد جهانجير فقد ســار على سياسة أبيه أكبر فى تحســين علاقته بالبرتغاليين مما أعطاهم فرصة لتدعيم كــيانهم فى بعض المناطق الداخلية، لكن علاقته بهم تغيرت بعد ذلك نتيجة لازدياد مطامعهم ونفور أهل الهند منهم.

ونتيجــة للعلاقات الطيبة مع البــرتغاليين فى عهدى أكــبر وجهانجيــر تمكنوا من إقامة بعض الحصون والقــواعد فى البنغال، وجعلوا قاعــدتهم الرئيسية فى هوجلى قرب كلكتــا التى أصبحت مركزا تجاريا لهم، وبدأوا فى فرض سيطرتهم على تلك المناطق حيث فرضوا على التجار المحليين رسومــا مرتفعة، وخطفــوا الأطفال لتحــويلهم إلى المسيحيــة، ومارسوا التــبشير وتجــارة الرقيق، وتعاونوا مع التجار الأوروبيين للإضرار بمصالح البلاد.

وبناء على أوامر من السلطان شــاه جهان قام حــاكم البنغال بالاستيــلاء على هوجلى وقتل العديد من البرتغاليين، وأنقذ آلاف الهنادكة الذين كانوا يزمعون تصديرهم إلى خارج الهند كرقيق من أيديهم، كما أرسل إلى عاصمة الدولة عددا كبيرا من الأسرى البرتغاليين.

وأما فى عهد السلطان محى الدين محمد أورنجزيب فقد قامت قواته بشن حملات ضد البرتغاليين وأنزلت بهم بعض الهزائم البحرية، وخلصت آلاف الهنادكة من أيديهم قبل بيعهم فى أسواق الرقيق.

ومع أن نفوذ البرتغاليين البرى على الساحل الغربى لشبه الجزيرة الهندية لم يتجاوز بعض الجزر ومساحات من الساحل، لكن البرتغاليين استطاعوا من تلك القواعد المحدودة أن يحتكروا تجارة الشرق، وأن يقيموا علاقات ودية مع بعض الإمارات المجاورة، وأن ينشئوا علاقات محدودة مع الصين واليابان، وأن يمدوا نفوذهم وتجارتهم إلى جنوب شرقى آسيا، وكان ذلك النشاط متسما بجهود تبشيرية تركزت فى البداية فى إنشاء الكنائس والقضاء على العرب أينما وجدوا، لكنها تطورت فيما بعد إلى نشاط تبشيرى كبير وإن كانت ذات آثار محدودة بين أهالى الهند.

شاب جالس يقرأ بجوار النهر.. (لاحظ أنه يقرأ فى الإنجيل)

وظل النفوذ البرتغالى فى الهند يتسع ويتضاءل طوال القرن السادس عشر الميلادى طبقا لعدد من الاعتبارات أهمها نوعية العلاقة القائمة بين الحكام البرتغاليين فى الهند وبين الأمراء الهنود، وتطور المد الإسلامى فى شبه الجزيرة على يد الدولة التيمورية (المغولية)، وقدرة البرتغال على استمرار تقديم الدعم اللازم للنفوذ البرتغالى فى الهند، ثم المنافسة القائمة بين الدول الاستعمارية المختلفة فى تلك المنطقة، وقد ترتب على تلك العوامل جميعها تضاؤل النفوذ البرتغالى فى الهند خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر.

بدأت شركــة الهند الشرقية الإنجليــزية نشاطها التــجارى فى الهند فى وقت متأخــر بعد أن كانت البرتغــال قد سيطرت على التجارة فى المحــيط الهندى معظم سنوات القرن الســادس عشر حيث كــان السلاطين بابر وهمايون وأكــبر هم الذين يحكمون الدولة التــيمورية (المغوليــة) خلال ذلك القرن؛ ولذلك فــقد كانت بداية تعامل الشــركة التجارى مع الهند خلال حكم السلطان نور الدين محمد جهانجير الذى حكم خلال الربع الأول من القرن السابع عشر.

ونتيجــة لحرص الشركة فى البــداية على عدم إثارة شكوك السلطان جهانجــير، فقد كانت عــلاقته طيبة بالتــجار الإنجليز، مما شــجعــه على منحــهم بعض الامــتــيازات التى مــهــدت الطريق للاستعمار البريطانى فيما بعد.

عملة ذهبية - بومباى ١٧٧٠ - عهد الاحتلال الإنجليزى (شركة مستعمرة الهند الشرقية)
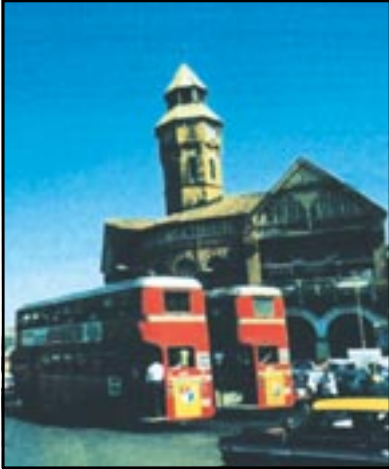
وأما فى عــهد السلطان شــاه جهان فــقد استــمر فى سياســة منح الامتيازات للتــجار الإنجليز الذين اســتفادوا من كراهيــة السلطان للبرتغــاليين لتدعــيم مصــالحهم فى الدولة المغوليــة، متــابعين سيــاسة المداهنة والخداع إلــى أن تواتيهم الفرصة للسيطرة على شئون الدولة التيمورية (المغولية).

تأثير الاستعمار الأوروبى - الكنيسة والحافلة ذات الطابقين

وأما فى عهد السلطان مــحى الدين محمد أورنجزيب فقد كانت علاقته بالتجار الإنجليز طيبة فى بداية الأمر، لكنه بعد ازدياد نفوذهم فى مناطق من شرقى شبه الجزيرة وغربيها ومعــارضتــهم فرض رسوم جــديدة عليهم، وقــيامــهم بعدة حــمــلات للسيــطرة على بعض المناطق، وارتكــابهم بعض التجاوزات مثل استيلائهم على بعض السفن المغولية فى ميناء بومباى، قام السلطان أورنجــزيب بإجلائهم من مناطقهم فى شرقى شــبه الجــزيرة الهندية، وحاصــرهم فى بومبــاى حتى أجبرهم على الاستسلام، لكنه سمح لهم بعد ذلك بالتجارة فى بعض المناطق بعــد فرض غــرامة ماليــة عليهم، ممــا جعل الإنجليز يحــرصون على تحسين عــلاقاتهم مع الدولة، وتجنب التدخل فى شئونها الداخلية حتى تم لهم السيطرة على شئونها.

أهم سمات الدولة التيمورية

أولا: العدالة والمساواة

كان حرص سلاطين المغول على تحقيق العدالة بين الناس إحدى سمات الدولة الأساسية.

فقد ترك بابر قبيل وفاته لابنه همايون وصية تدل على استنارته وفهمه الجيد لرسالة الحاكم، حيث دعاه إلى نشر العدالة ورفع رايات السلام والمحبة والبعد عن التعصب، وجعل سياسة التسامح هى الأساس الأول للحكم.

(أكبر) يشاهد مصارعة بين فيلين

لوحة الربيع - مدرسة أكبر

ولعل من الأمثلة على اتباعه تلك السياسة خلال حياته تسامحه مع خصومه ودعوته الولاة إلى إقامة العدل بين الناس وتجنب إلحاق الأذى بهم.

وأما همايون فقد استن فى تحقيقه للعدالة واهتمامه بأحوال الرعية سنة جديدة لا نعرف أن أحدا قد اتبعها ممن سبقوه أو لحقوا به سواء من حكام الهند أم غيرها من بلدان العالم، فإضافة إلى تحديده أياما لاستقبال أفراد الشعب أوجد ما يسمى بطبل العدالة، وهو ذلك النظام الذى يتيح لصاحب الشكوى أن يدق على الطبل مرة أو أكثر كى يشعر القائمين على العدالة بمضمون شكواه، حيث إن كل ضربة على هذا الطبل كانت تعنى شيئا محددا سواء كان سرقة أم قتلا أم غيرها. ومع أن هذا النظام لم يستخدم كثيرا فى عهد همايون، لكنه كان دليلا ليس فقط على حب الحاكم للعدالة وحرصه على توفيرها بين الناس، بل أيضا على تحقيق العدالة، وقلة أصحاب الشكاوى رغم كثرة سكان الهند.

وأما شيرشاه فلم يكن يتردد فى معاقبة أى مسئول مهما كان مركزه إذا جرؤ على الاعتداء على مصالح الجماهير أو خرج فى مسلكه على قواعد النظام والعدالة، مما ألزم المسئولين بالسهر على راحة الناس وإشاعة الطمأنينة فى نفوسهم.

ومع أن شيرشاه كان سنيا متحمسا لكنه لم يكن متعصبا ضد العقائد الأخرى، فقد ساوى فى المعاملة بين المسلمين والهنادكة، ولم يفرق فى الحقوق بين عقيدة وأخرى، يدلنا على ذلك إعفاؤه أهل الذمة من دفع الجزية، واعتماده على العناصر المختلفة فى إدارة شئون الدولة، واحترام عادات الهنادكة وعقائدهم.

وقد بذلت محاولات فى عهده لتحقيق العدالة دون إبطاء على أساس أن العدالة البطيئة نوع من الظلم، ولعل فلسفة شيرشاه تتلخص فى إحدى عباراته الواضحة «إن روح الرعاية الملكية تتمثل فى حماية أرواح الرعايا وممتلكاتهم، وعلى الملوك أن يراعوا مبادئ العدالة والمساواة فى معاملاتهم لكل طبقات الشعب، ولزام عليهم أيضا أن يصدروا تعليماتهم إلى أصحاب السلطان فى حكومتهم أن يحاولوا ما استطاعوا تجنب القسوة والاضطهاد فى أحكامهم».

لقد كان حكم شيرشاه بزوغا لسياسة معينة تطورت على يد أكبر وتمثلت فى تسامحه مع الهنادكة واستفادته من ظروف الهند المختلفة لخلق وحدة سياسية متماسكة رغم خروجه على تعاليم دينه.

فقد كان أكبر حريصا على سيادة العدل بين المواطنين، فكان يدعو الحكام إلى الاهتمام بأحوال الناس على اختلاف معتقداتهم وطبقاتهم، كما كان يستقبل المواطنين يوما فى كل أسبوع كى يتلقى ظلاماتهم بنفسه. وكان إذا جلس على كرسى القضاء الأعلى أنفق الساعات الطوال ينصت إلى أقوال المتخاصمين، ولم تعرف رحمته حدودا، بل إنه كثيرا ما ذهب فى هذه الفضيلة حتى جاوز بها حدود الحكمة. وكان من عاداته مثل عمر بن الخطاب أن يتفقد الرعية بالليل متنكرا.

ورغم اتباع أكبر لسياسة المساواة بين المسلمين والهنادكة التى استنها بابر وتابعها همايون وشيرشاه، لكنه زاد عليهما أنه عمل على كسب محبة الهنادكة، وخاصة الراجبوتيين منهم ـ الذين كانوا يشكلون الطبقة العسكرية فى الهند ـ فقد ارتبط عن طريق المصاهرة مع عدد من نساء الراجبوتيين، وعين الهنادكة فى المناصب القيادية الهامة، واعتمد على الكثيرين منهم فى تنفيذ مشروعاته، وألغى الضرائب المفروضة على حجاجهم، وفتح أبواب الجيش بشكل متكافئ للمسلمين والهنادكة، بل إنه بالغ فى مجاملة الهنادكة حتى على حساب ديانته، فاتبع تقاليدهم وأظهر الاعتقاد فى بعض عقائدهم. وقد حققت هذه السياسة ولاء الهنادكة لأكبر ووقوفهم إلى جانبه، ودفاعهم عن الدولة ضد ما واجهها من أخطار.

صورة من مخطوط (جلستان) ـ من عمل المصور «مانوهير» ـ عصر جها نجير

وأما جهانجير فقد كان متسامحا مع المسلمين والهنادكة على السواء، مهتما بمشاكل الناس، متفقدا لأحوال الرعية، كما كان يسمح لأصحاب الحاجات بعرض مظالمهم عليه فى أى وقت.

وأما شاه جهان فقد تابع سياسة أسلافه فى الاهتمام الكبير بأحوال الرعية، وإلزام الولاة برعاية مصالح الناس، ومحاسبة الحكام الذين يتهاونون أو يقصرون فى تحقيق العدالة للجماهير، وهناك أمثلة عديدة قام فيها بطرد حكام قساة نتيجة

لشكاوى الجماهير. ومع أن شاه جهان كان سنيا مخلصا ومقاوما لانتشار المذهب الشيعى، لكنه لم يكن يفرق فى المعاملة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى.

وأما محى الدين محمد أورنجزيب فقد كان أكثر سلاطين الدولة المغولية ارتباطا بالإسلام والتزاما بشريعته، فهو يتفقد أحوال الرعية ويسارع فى تحقيق العدالة.

ورغم اتباع أورنجزيب بشكل عام سياسة التسامح مع غير المسلمين، وعدم التفرقة فى الحقوق بين مسلم وآخر، لكنه فرق بين المسلمين وغيرهم فى عدد من المعاملات. ففى عام ١٦٦٥م أصدر قانونا يحدد فيه الرسوم الجمركية على المسلمين بـ ٢,٥ ٪ وعلى الهنادكة ٥٪، وفى عام ١٦٦٧م ألغى الرسوم الجمركية على المسلمين وأبقاها بالنسبة للهنادكة، وفى عام ١٦٩٥م، منع الهنود جميعهم ـ باستثناء الرجبوتيين ـ من ركوب الفيلة والخيول الأصيلة أو حمل السلاح. وكانت حجة أورنجزيب من هذه الإجراءات نشر الإسلام ومحاربة الإلحاد.

وبلغ من حرصه على تحقيق العدالة للشعب أنه كان يستقبل الناس ثلاث مرات يوميا دون حاجب حتى يستطيع من يريد أن يقابله ويرفع إليه شكواه.

كما أنه خصص موظفين، يكتبون كل ما يقع من أحوال رعاياه ويرفعونها إليه، فكان بذلك يقف على أحوال رعاياه أولا بأول، وكان لا يكتفى بذلك، بل يقوم بنفسه بتفقد الرعية حتى لا يخدعه الموظفون، وكان يعلن دائما للناس أنه ينصفهم ولو من نفسه، وأنهم جميعا عنده سواء.

ثانيا: الآداب والعلوم

شهدت الآداب والعلوم فى الدولة التيمورية (المغولية) نهضة كبيرة، وخاصة فى عهد السلاطين الأوائل من بابر حتى أورنجزيب، وقد تجلى ذلك فى إنشاء المدارس والمكتبات والمساجد، وفى استقبال السلاطين للأدباء والعلماء ومراسلتهم. ولعل من الأمور ذات الدلالة أن هؤلاء السلاطين كانوا أدباء وعلماء.

فقد كان بابر أديبا ومحبا للفنون الجميلة، وكان يحسن الكتابة بالفارسية والتركية ولديه حس أدبى مرهف، فهو يكتب الأدب ويقرض الشعر ويحب الفنون الجميلة بفروعها المختلفة. وهمايون كان عالما فى الجغرافيا والفلك حتى أنه ألف عددا من الرسائل عن طبيعة العناصر، وكلف العلماء بعمل كرات فلكية وأرضية، كما أنه يروى عنه حرصه على تخصيص وقت للقراءة

أثناء معاركه وخلال تلك السنوات التى قضاها خارج شبه الجزيرة الهندية بعد طرده منها على يد شيرشاه. وأكبر كان متعمقا فى مسائل الدين والفلسفة، وجهانجير كان لديه إلمام بعلمى الحيوان والنبات، دارسا لكثير من المعارف الهندية والفارسية والتركية، وتبلورت اهتماماته الأدبية فى تلك الذكريات التى كتبها والتى تحكى لنا تجاربه ومشاهداته.

كليلة ودمنة لفيلسوف الهند الكبير «بيدبا»

من التراث المؤثر فى العرب والعالم

بابر يشرف على حديقته – بابر نامة

محبرة خشبية – ملك «أمانات خاتون» الذى صمم «تاج محل» القرن ١٧ جوجرات

وأورنجزيب كان متفقها فى العـلوم الدينية، لكن اهتمامه بالعلوم الأدبية كان كبـيرا أيضا، وقـد ساعده على ذلك إتقـانه لأربع لغات هى: العـربية والفارسـية والتركية والهندية، ولا تزال بعض رسائله موجودة حتى الآن وتنطق بما كان يتحلى به من أسلوب أدبى متميز.

وإذا تابعنا هؤلاء السلاطين سوف نجد للكثيـرين منهم جهودا كبيرة فى هذا الشأن. فـقد أعطى ظهيـر الدين محمـد بابر مؤسس الدولة اهتمـاما كبـيرا للعلم والعلماء، وكان يراسل كبـار العلماء فى عصره، ويستقبل فى بلاطه كثـيرا من العلماء والمؤرخين والشعراء، ويرعى شئون الآداب والفنون والعلوم فى الدولة.

ولعل من الأمور اللافـتة للنظر أن بابر رغم انشغـاله بإنشاء دولته، لـكنه ترك لنا أثرا هاما سبق به عصره بعـدة قرون، وهو سيرته الذاتية المعروفة باسم «بابر نامة»، فـمن المعروف أن كتابة السير الذاتيـة لم تتطور بشكل واضح إلا فى القرنين التاسع عـشر والعشرين، وأن كثـيرا من قادة العالم لم يكتبوا سيرهم الذاتية قبل هذين القـرنين. ويعنى ذلك أن كتابة بابر لسيرته الذاتية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر يعتبر بكل المقاييس إنجـازا أدبيا وتاريخيا رائعا، حيث تعتبر هذه السيرة مـصدرنا الأساسى عن سيرة بابر، وقـد دونها ابنه همايون فى أصلها باللغة التـركية، وتمت ترجمتها إلى اللغة الفارسية فى عهد أكبر.

ويروى بابر فى سيرته بأسلوب أدبى رفيع كثيرا مما رآه أو وصل إلى علمه، كما يصف فيها الأماكن التى زارهـا والبلدان التى فتحـها، ويتـحدث عن سكانها وحكامـها وتجـارتها وزراعتـها وعلمائها وأدبائها وتاريخها ومنشآتها، إلى غير ذلك من المشاهدات الهامة.

وفى عهد خليـفته ناصر الدين محـمد همايون يظهر لنا مدى اهتـمامه بالعلوم والفنون من تقسيـمه لقوى المجتـمع إلى ثلاثة أقسام رئيسـية تنقسم بدورها إلى اثنى عـشر قسمـا. أما القوى الرئيسـية فكانت تمثل العلماء ورجـال الحكم وأهل الفن، كما أنه كـان مشجـعا للأدباء والفنانين مهتما بإنشاء المكتبات.

وأما شـيرشاه فقـد كان اهتمامـه بالآداب والعلوم تعبيـرا صادقا عن نظرته الواعـية وفكره المستنير، فقد أنشأ الكثير من المدارس، وشجع الطلاب على الإقبال على التعليم، ورصد المكافآت للطلاب والمعلمين.

وأما أكبر فقد شغلته قضية التقريب بين المذاهب الإسلامية، فجمع فى البداية علماء وفقهاء السنة والشيعة، لكن مناقشات هؤلاء لم تؤد إلى التقريب بين المذاهب، بل تطورت الأمور إلى إنشاء أكبر لمذهب جديد حاول به أن يوحد بين الديانات المختلفة فى الهند كما أوضحت عند الحديث عنه.

لكن أكبر رغم انشغاله بهذه القضية استطاع أن يجمع مكتبة عظيمة تتألف كلها من مخطوطات جميلة الخط والنقش، دبجها له نساخون بارعون كانت لهم عنده منزلة الفنانين، ومع أن مكتبته لم تزد على أربعة وعشرين ألف كتاب، لكن قيمتها بلغت ما يساوى ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف ريال فى تلك الفترة المبكرة، لكن قيمتها الحقيقية كانت تزيد عن ذلك بكثير.

وقد أجزل أكبر العطاء للشعراء بغير حساب، وقرب أحدهم من نفسه حتى جعله ذا حظوة كبرى فى حاشية قصره، وأخيرا نصبه قائدا فى الجيش.

وأمر أكبر عددا من الأدباء أن يترجموا إلى الفارسية أهم كتب الأدب والتاريخ والعلوم فى الهند، وفى عهد أكبر بدأت اللغة الأوردية ـ المكونة من الهندية والفارسية والتركية والعربية ـ تبرز إلى الوجود، وكانت التركية لغة الأسرة المالكة، والفارسية لغة الدولة، والعربية لغة الدين الإسلامى.

ويذكر المؤرخ بادونى أنه «كان يحج إلى قصره طوائف العلماء من كل أمة، والحكماء من كل ملة ومذهب، وكانوا يظفرون لديه بشرف استماعه إليهم، وإذا فرغوا من بحثهم وتقصيهم اللذين كانا شغلهم الشاغل ومهمتهم الأولى ليلا ونهارا تحدثوا فى مسائل عميقة فى العلم، ونقط دقيقة فى الوحى، وأعاجيب التاريخ، وغرائب الطبيعة».

وأما شاه جهان فكان محبا للعلم مشجعا على التأليف، وقد أصبحت الأوردية فى عهده اللغة الرسمية للدولة وعمل على نشرها بوسائل مختلفة.

وفى عهد محى الدين محمد أورنجزيب ازدهر التعليم أيما ازدهار، وكان هو نفسه محبا للعلم والعلماء، فكثرت المدارس فى عهده كثرة لم تحدث من قبل، وأجرى الأرزاق على العلماء والطلاب ليتفرغوا لدراستهم، وأنشأ المساجد الكثيرة ورتب الأرزاق للقائمين عليها، وكانت عنايته بالثقافة والآداب والتعاليم الإسلامية عناية كبيرة حيث عمل على تدوين الأحكام الشرعية للعمل بموجبها، فجمعت الفتاوى المشهورة بين العلماء باسم الفتاوى الهندية، وهى فتاوى لها قيمتها العلمية بين المشتغلين بالفتوى فى العالم الإسلامى، كما وضع بنفسه كتابا فى الحديث وشرحه بالفارسية جمع فيه أربعين حديثا. كما حفظ القرآن بعد توليته العرش.

كانت الفنون والعمارة إحدى السمات الأساسية للدولة المغولية، وخاصة فى عهد سلاطينها الكبار.

فقد كـان بابر مؤسس الدولة رغم قصر مدة حكمـه شغوفا بإقامة كـثير من المنشآت والآثار المعمارية كالمساجد والقصور والحمامات والخزانات والمنائر التى تهدى المسافرين.

ويتجلى اهتمام همايون بالفنون فى تقسيمه لقـوى المجتمع إلى ثلاثة أقسام رئيسية منها أهل الفن؛ وفى اشتهار بلاطه بالجلال والفخامة، مثل إنشـاء قصر همايون الذى كان عبارة عن حديقة عائمـة على سطح نهر جـمنه، والقصـر المتحرك، والقـوارب المزودة بالأسواق والحـوانيت. وأما شيرشاه فقـد أعاد بناء دلهى فى ذوق معمارى جميل.

وأما أكبر فقد بنى العديد من القصور، وأنشأ الحمـامات والبحيرات الصناعـية، وكان له ذوق مـرهـف بحب الأزهار والتـصـوير والموسيقى. وقد شـهدت الموسيقى الهندية فى عـهـده عـصـرا من أعظم عـصـورها، وبلغ التـصوير ـ الفـارسى والهندى ـ مرتبـة عاليـة بفضل تشـجيعـه، وقد أشـرف فى أجرا على بناء الحـصن المشهـور، وأمـر أن يبنى بداخله خمسمائة مبنى عـدها معاصروه من أجمل ما تراه العـين فى العـالم كله، لكن هذه المبـانى تحطمت على يد شاه جهان.

ويتميـز عهد شاه جهـان برقى العمارة الإسلاميـة وكثرة الآثار والمنشآت الكـبيرة فى المدن المختلفة، مثل القلـعة الحمراء التى بناها شاه جـهان لسكناه من الحـجارة الحمـراء بدلهى والمسجـد الجامع المقابل لهـا والذى يعتبـر أفخم

شاه جهان يزن «خورام» ذهباً يوم عيد ميلاده سنة ١٦٠٧م – رسم فى أجرا سنة ١٦٢٨م

«شاليمار» إحدى الحدائق ذات البحيرات ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م لاهور

انتشار الموسيقى - تصوير من إقليم كنجرا (كريشنا يعزف على الناى) ق ١٨م

تاج محل - من عجائب الدنيا - ضريح ممتاز محل زوجة شاه جهان

٤٨

مسجد بناه سلطان فى الهند كلها، وقد تم بناؤه فى ستة أعوام، وأصبح هذا المسجد خلال ثورة ١٨٥٧م - مثل الجامع الأزهر فى ثورة ١٩١٩م فى مصر - مركز تجمع الثوار وخطبهم. وكذلك مسجد اللؤلؤ بأجرا، لكن أهم تلك المنشآت هو تاج محل فى أجرا الذى اعتبر أحد عجائب الدنيا والذى استغرق بناؤه اثنين وعشرين عاما استخدم فى إقامته عشرون ألف عامل. وقد بناه لتدفن فيه زوجته ممتاز محل التى لقبت بملكة الزمان والتى شاركت زوجها فى تحمل مسئوليات الحكم، واستطاعت اكتساب محبة الجماهير بتفانيها فى خدمة الفقراء والمعدمين. وقد توفيت بعد أن أنجبت لزوجها أربعة عشر من أولاده الستة عشر، وكانت وفاتها أثناء عملية الولادة، وقد حزن السلطان عليها حزنا شديدا حتى أنه عاش بعد وفاتها خمسا وثلاثين سنة دون زواج.

أعطى السلاطين المغول فى الهند اهتماما كبيرا للتنظيمات الإدارية واهتماما محدودا بالتنظيمات المالية، فظهير الدين محمد مؤسس الدولة رغم انشغاله بمعاركه مع خصومه لم يهمل الاهتمام بتنظيم شئون الدولة. ومع أنه اعتمد على النظام الإدارى الذى كان قائما قبله أدخل على الإدارة الهندية بعض التنظيمات الإدارية، فقد عين فى كل إقليم نائبين له: أحدهما لشئون الجند، والثانى للإشراف على الأموال العامة، كما قسم الدولة إلى قطاعات وزعها على قواد جيشه. وأقام النظام الإدارى من أعلى الهرم إلى قاعدته.

أما السلطان شيرشاه فقد بنى الجهاز الإدارى من قاعدته إلى أسفل، وجدد فى الأنظمة الإدارية السابقة. ولم تكن الدولة فى عهده مقسمة إلى أقاليم كما حدث فى عهد بابر، بل قسمها إلى سبع وأربعين مدينة محصنة كان كل منها يشكل قاعدة لأحد قواده العسكريين.

وفى عهد جلال الدين محمد أكبر كانت الفتوحات مرتبطة بأعمال الإصلاح المتعددة التى شملت تنظيمات إدارية ومالية.

وأما فى عهد نور الدين محمد جها نجير، فيختلف الباحثون فى حكمهم على نظامه الإدارى، فبينما يذكر باحث أن الإدارة لم تكن جيدة فى عهده، يذكر آخرون أنه كان يحكم الدولة بطريقة رائعة للغاية، فقد كان هناك مراقبة من السلطان للمسئولين فى الدولة، وكان لدى هؤلاء شعور بالخوف من السلطان جعلهم يؤدون أعمالهم بشكل طيب. لقد كان جهانجير مستبدا، وكان هذا الاستبداد عاملا له قيمته فى ضبط الأمور بسبب الخوف من السلطان وليس نتيجة الشعور بالمسئولية أو الالتزام بنظام الدولة وقوانينها.

وفى عهد شاه جهان كانت مراقبة السلطان للمسئولين فى الدولة أيضا عاملا له قيمته فى الإدارة، وكان محاطا بعدد من المسئولين ذوى السمعة الطيبة، وكان هناك مراجعة دائمة لطغيان المسئولين فى الدولة. كما أعاد شاه جهان تنظيم الموارد المالية للدولة، وخصص أراض كافية لدعم خزانة الدولة.

عملة (أكبر) - خمسة مهر ذهبى

عملة جهانجير - مرسوم عليها برج السرطان

وكان لأورنجزيب تنظيمات مالية واقتصـادية فيما يختص بالخراج والضرائب هادفا منها إلى تحقيـق العدالة والرحمة، كـما أنه عين فى كل ولاية نائبـا له، وأعلن فى الناس «من كان له حق على السلطان فليرفعه إلى النائب» وأمر النائب أن يؤدى كل ما على الحكومة من حقوق.

فى إطار النظام الإقطاعى الذى كـان سائدا عند نشأة الدولة التيـمورية (المغوليـة) قسم بابر الدولة إلى قطاعات وزعها على قواد جيشه، كما جعل فى كل إقليم نائبا لشئون الجند.

قنينة من العاج المذهب لحفظ البارود.. عصر المغول فى الهند ق ١٥م

ويلاحظ خلال حكم الدولة التيمورية (المغولية) إما تبعية القوات لنظام الإقطاعات العسكرية أو وجود جيوش متعددة تابعة لأمراء وقواد متعددين. وقد كان لذلك فائدة للدولة من ناحية عدم استئثار بعض الأمراء أو القادة بمناطقهم، لكن ترتب على ذلك انقسام قوات الدولة إلى وحدات وعناصر مختلفة.

وخلال حكم همايون لم يحرص على إعداد جيش قوى يحافظ به على تلك الدولة المترامية الأطراف، كما لم يكن لديه خطة عامة يواجه بها أعداءه. وبعد استعادته لدولته، نجد أن الجيش كان يتكون من مجموعة متنافرة من المغامرين الذين يضمون الأتراك والمغول والفرس والأفغان والهنود.

ويعتبر عصر شيرشاه هو المرحلة الوحيدة فى تاريخ الدولة التى تم فيها إلغاء النظام الإقطاعى، وإنشاء جيش قوى خاضع لقيادته المباشرة لا لأصحاب الإقطاعات العسكرية، كما أن أفراده كانوا يحصلون على رواتبهم من خزانة الدولة.

وفى عهد أكبر قل اعتماد الدولة على القوة الحربية بعد أن زاد حكمه استقرارا، حيث قل اعتماده على القوة الحربية، مكتفيا بجيش دائم مكون من خمسة وعشرين ألفا، فإذا نشبت حرب زادت هذه القوة المتواضعة بمن يجندهم القادة من المناطق المختلفة. وكان الجيش فى عهد أكبر مجهزا بخير سلاح عرفته الهند حتى ذلك الوقت، لكن تجهيزه كان أقل إعدادا من جيوش أوروبا. وكان لأكبر عدة مخترعات منها اختراعه ماسورة للبندقية من الحديد لا تنفجر.

ولعلنا نلاحظ أن أسلوب الاستدراج الذى طبقه بابر فى معركة بانيبات قد أصبح هو التكتيك العسكرى المفضل فى الهند بعد وفاته. فقد حاول بهادرخان أن ينفذه مع همايون فى حرب الجوجرات، كما طبقه شيرخان سور مع همايون. ولا بد أن نربط بين ذلك الأسلوب وبين ما حاول أن يتبعه إسماعيل الصفوى مع السلطان العثمانى سليم فى واقعة جالديران عام ١٥١٤م، وأغلب الظن أن بابر قد أخذ هذا الأسلوب من إسماعيل الصفوى، فقد تحالف معه بعض الوقت، وعاونه إسماعيل الصفوى لاسترداد أرضه.

القلعة الحمراء - الهند المغولية

اهتم سلاطين المغول بشئون الزراعة وإن كانت اهتماماتهم قد أخذت أشكالا مختلفة:

فقد أنشأ بابر مجموعة من البساتين والحدائق، وتم فى عهده مسح كثير من الأراضى، وإدخال بعض النباتات وأشجار الفاكهة.

وكانت جهود شيرشاه فى مجال الزراعة من أفضل ما تحقق ليس فقط خلال مدة حكمه بل خلال حكم الدولة التيمورية (المغولية) جميعها، فقد تم مسح الأراضى الزراعية بطريقة منتظمة، كما تم تحديد الأراضى الزراعية الجديدة وقياس الأراضى المستأجرة.

وقسمت الأراضى فى عهده إلى قطع صغيرة، وكانت القروض تقدم للفلاحين عند الحاجة، وتم إعفاء صغار الفلاحين من الضرائب الزراعية، وأنشئت مخازن للغلال، وكانت الحكومة تجبى ثلث الإنتاج الإجمالى للأرض، كما كان هناك مجال لسداد القيمة الإيجارية نقدا أو عينا، وكانت هناك ضريبتان إضافيتان متعلقتان بمسح الأرض وأجر جامع الضريبة.

كما وضع شيرشاه نظاما يمنع وجود أى مجال للفوضى أو اضطهاد الفلاحين، وتضمن ذلك نصوصا واضحة ومحددة لحقوق الدولة والأفراد، والتزم جامعو الضرائب بأداء أعمالهم دون تعسف أو استغلال.

وقام أكبر بإصلاحات زراعية مختلفة واهتم بإنشاء الحدائق العامة، وأعان الزراع وثبت ملكياتهم للأرض وتجاوز عن ديونهم المتأخرة، واهتم جهانجير أيضا بإنشاء الحدائق وتنسيقها وتزويد البلاد ببعض النباتات الجديدة، بينما أنشأ شاهجان نظاما للتسليف شمل مساحات كبيرة من البلاد، وجعل التزام جامعى الضرائب بأعمالهم جزءا من تقاليد البلاد فى عصره.

أما أورنجزيب فإن الأراضى التى كانت خاصة بالسلاطين قبله يستغلونها لنفقاتهم الخاصة، أصبح ريعها الضخم يحول إلى بيت المال، ولم يأخذ منه إلا القليل، فقد عاش طوال عمره عيشة الزهاد باعتراف المؤرخين الأوروبيين أنفسهم.

وبخلاف اهتمام الدولة التيمورية (المغولية) بشئون الزراعة كان هناك اهتمامات أخرى بجوانب متفرقة. فقد اهتم بابر بشق الطرق وتعبيدها ، وإقامة منازل على الطرق للمسافرين، كما أنشأ نظاما للبريد العاجل.

كما أجرى شيرشاه تعديلات على نظام الشرطة أصبح بموجبها رؤساء القرى مسئولين عن حفظ الأمن وضبط المجرمين فى قراهم، كما أصبح اللصوص والأشرار مسئولين عن الأمن فى مناطقهم، وحملهم السلطان مسئولية ما يرتكب فى مناطقهم من تجاوزات.

وقام شيرشاه أيضا بإصلاح نظام سك العملة، وأنشأ شبكة طرق جديدة، وبنى استراحات عديدة للمواطنين، كما أدخل التحسينات على الطرق القديمة وأقام على جانبيها الأشجار، ودعم سيطرة الدولة على أجزائها المتفرقة مما كان عاملا هاما فى رواج التجارة.

وأما نور الدين محمد جهانجير فقد تمثلت أهم إنجازاته فى ذلك الدستور الذى أصدره لتنظيم شئون الدولة، والذى تضمن التخفيف من الضرائب والعلاج المجانى وتحريم تعاطى الشراب أو صناعته، ومنع العقوبات البدنية، وحظر استخدام أقارب الولاة فى المناصب الكبرى أو مصاهرة الولاة لأفراد الشعب إلا بإذن صريح من السلطان، إلى غير ذلك من القرارات التى وفرت الثقة فى نظام الدولة وربطت المحكومين بالحاكم، وأشاعت الطمأنينة فى النفوس.

وأما شاه جهان فقد قام ببعض الإصلاحات الدينية، وألزم الدوائر الحكومية بالتقويم الهجرى، وأرسل الهبات السنوية والمساعدات الاقتصادية إلى علماء الحجاز وفقرائه، وأبطل شاهجان عادة تقبيل الأرض أمام السلطان تحية له، وكانت هذه التحية معتادة للملوك، فقضى شاهجان على هذا التقليد السيئ، كما قضى على كل مظهر من المظاهر المخالفة للإسلام مما تركه جده أكبر.

وأما أورنجزيب فقد أصلح الشوارع والطرق، وأكثر من إنشاء الحمامات، والاستراحات لأبناء السبيل، وأنشأ الكثير من المستشفيات ودور العجزة، كما أبطل عادة تقديم الهدايا إلى السلطان كما كان يفعل سابقوه لاسيما من الأمراء وحكام الولايات الذين كانوا يشتطون فى تعويض ذلك من الرعية.

وأهم من كل هذا أنه من الناحية الاجتماعية جاء إلى الحكم والناس ينظرون إلى السلطان على أنه فوق الطبيعة البشرية، وأنه ظل الله فى الأرض، فألغى أورنجزيب كل المظاهر المنافية لروح الإسلام، وأمر أن يحيى فقط بتحية الإسلام، وقضى على الأبهة التى كانت تحيط بالسلطان فى قصره.

مهر ذهبى من الهند المغولية

موكب هندى

تقييم عام للدولة التيمورية

لا شك أن نجاح الأسرة التيمورية فى فتح الهند وفى الاستمرار فى حكمها أكثر من ثلاثة قرون من الزمان يرجع إلى عوامل متعددة، كما أن هناك عوامل سلبية أسهمت فى تدهور شئون الدولة، وفى تمكين بريطانيا من السيطرة التامة على شئون الهند منذ إخماد الثورة الوطنية التى قامت فى الهند عام ١٨٥٧م، حتى استقلال الهند عام ١٩٤٧م.

العوامل التى مكنت الدولة التيمورية من السيطرة على شئون الهند

فقد كانت هناك عوامل مكنت الدولة التيمورية من السيطرة على شئون الهند أهمها : قيام الدولة على سياسة التسامح وعدم التعصب، وتوفير العدالة للجماهير، والاهتمام بالعلوم والآداب، وإنجاز الكثير من الإصلاحات فى جميع المجالات، لكن كان هناك عاملان آخران أسهما دون شك فى استمرار الأسرة التيمورية فى حكم الهند هذه الفترة الطويلة نسبيا من الزمان:

(جيش هندى) أثناء فترة الاحتلال الإنجليزى

العامل الأول: ولع قادة الدولة المغولية بالأعمال العسكرية

ويرجع هذا العامل إلى تأثر قادة الدولة بالحياة القبلية التى كانت قائمة فى تلك الفترة فى وسط آسيا، وحرصهم على حماية أنفسهم وممتلكاتهم من أى غزو، إضافة إلى وجود جماعات محاربة قوية فى الداخل ممثلة فى الأفغان والراجبوتيين وغيرهم مما جعل الدولة تعيش فى حالة تعبئة عسكرية مستمرة.

والعامل الثانى: قيام نظام الحكم على فكرة التوازن

ونقصد بذلك توزيع السلطة على قوى متعددة بحيث لا يتاح لأية قوة فرصة السيطرة على شئون الدولة. فبابر يعين فى كل إقليم نائبين له ويقسم أراضى الدولة إلى قطاعات يوزعها على قواد جيشه. وشيرشاه يقسم البلاد إلى سبع وأربعين مدينة محصنة على رأس كل منها قائد عسكرى. وأكبر يقيم علاقات طيبة مع القوى المناوئة للدولة، فيقيم علاقات طيبة مع البرتغاليين، كما يكتسب محبة الهنادكة حتى أنه نصب رجلا من الراجبوتيين قائدا لجيش الدولة الإسلامية، كما رفع أحد الراجات إلى منصب كبير وزرائه. وجهانجير يُحرم استخدام أقارب الولاة فى المناصب الكبرى. وهكذا نرى أن فكرة إقامة التوازن بين القوى الرئيسية فى الدولة كانت واضحة فى أذهان السلاطين المغول، وإن كان كل منهم يطبقها بطريقته الخاصة.

ولا شك أن تطبيق سياسة التوازن أفاد الدولة التيمورية: لأنه منع حكام الولايات والقادة العسكريين من الخروج على سلطة الدولة، لكن هذه السياسة أصبحت من الخطورة بمكان عندما ضعفت الدولة.

ويعتقد أن الدولة التيمورية أخذت فكرة التوازن من الدولة العثمانية التى كانت سابقة ومعاصرة لها والتى كانت تقسم الدولة إلى ولايات، كما أن السلطة داخل كل ولاية كانت تمارس من الوالى والديوان والدفتردار والقاضى والقادة العسكريين، وهو ما كان سببا من أسباب تبعية العالم العربى للعثمانيين أربعة قرون من الزمان، وعدم تمكن أى من الولايات من الاستقلال الكامل عن الدولة العثمانية.

الجيش يعسكر أثناء فترة الاحتلال الإنجليزى

العوامل التى أسهمت فى تدهور شئون الدولة

أما عن العوامل السلبية التى أسهمت فى تدهور شئون الدولة ووقوعها فى النهاية فى يد بريطانيا فيعتقد أن أهمها :

أولا: عدم تفهم بعض السلاطين لأركان الدين الإسلامى وأحكامه وهو الدين الذى قام عليه نظام الدولة، ويظهر ذلك فى عدد من الأمور: مثل إنشاء أكبر للدين الإلهى، وفى تدخل نساء القصر أحيانا فى شئون الدولة أو حياة البذخ التى عاشها بعض السلاطين، وفى إنفاق كثير من الأموال على بعض المنشآت والمقابر بدلا من إنفاقها على مشروعات يستفيد منها المواطنون، وفى إدمان كثير من السلاطين والأمراء للمعجون أو الخمر حتى أن بعض الأمراء مات فى شبابه نتيجة للإدمان مثلما حدث لابنى السلطان أكبر.

ثانيا: عدم وجود نظام ثابت لتولى العرش يلتزم به الجميع، فقد كان لهذا العامل أثر كبير فى ضعف الدولة واستنزاف قوتها وتشجيع خصومها على محاولة الإجهاز عليها. وفى جميع عهود سلاطين الدولة الكبار حدثت خلافات ومعارك بين الأبناء، ومن يناصرونهم سواء فى حياة السلطان أم بعد وفاته، مما جعل بعض المؤرخين يطلقون على ما حدث خلال السنوات الأخيرة من حياة السلطان شاه جهان «حرب الوراثة».

ثالثا: كان لاستمرار الفتوحات والتوسعات خارج شبه الجزيرة الهندية فى عهود بعض السلاطين جوانب سلبية مختلفة: مثل عدم التمكن من متابعة تلك الفتوحات بصورة منتظمة، وعدم ربط تلك الفتوحات بالقيام بإصلاحات فى المناطق المفتوحة، وعدم تحمل بعض القيادات مسئولياتها فى تلك المناطق، والقيام أحيانا بفتوحات فى وقت تحتاج فيه الدولة إلى الاهتمام بالشئون الداخلية للبلاد.

رابعا: ما منحه بعض السلاطين من امتيازات للأجانب، سواء كانت امتيازات اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو دينية، وهو ما كان عاملا فى ترسيخ أقدام الاستعمار فى شبه القارة الهندية.

ولا شك أن خبرة بعض السلاطين مثل أكبر وجـهانجير بالاستعمار الأوروبى كانت جديدة، لكن مع الممارسة تنبهت شخصـية مثل أورنجزيب لخطورة الاستعمار مما دفعه إلى مقاومته، لكن ذلك حدث بعد فوات الأوان.

من مظاهر الترف - امرأة فى حمام - إقليم كنجرا - ق ١٣ هـ/ ١٩ م متحف لاهور

المراجع

أولا: الكتب العربية والمترجمة

- أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، القاهرة، ١٩٧٠م.
- بديع جمعة وأحمد الخولى: تاريخ الصفويين وحضارتهم، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٧٦م.
- جمال الدين الشيال: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند، الإسكندرية، ١٩٦٨م.
- عادل حسن غنيم وعبد الرحيم عبد الرحمن: تاريخ الهند الحديث، القاهرة، دار الكتاب الجامعى، ١٩٨٤.
- عبد العزيز نوار: الشعوب الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، القاهرة، ١٩٥٩م.
- عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين فى تحرير الهند، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٤م.
- فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، القاهرة، ١٩٧٤م.
- محمد عبد المنعم الشرقاوى ومحمد محمود الصياد: ملامح الهند والباكستان، القاهرة، ١٩٥٢م.

خنجر مغولى ق ١٧م - أعطاه حيدر على الموسيرى لسير هيكتور مونرو سنة ١٧٨٢م

- محمـد مرسى أبو الليل: الهند تاريخها تقاليـدها جغرافيتـها، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٥م.
- ول ديورانت: قـصـة الحـضارة. الـهند وجيـرانهـا، الشـرق الأقـصى (الصين)، ترجمة زكى نجـيب محمود ومحمد بـدران، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، المجلد الثانى.

ثانيا: الرسائل الجامعية

- فتحى عـبد الفتاح أبو سيف: الدولة الطـاهرية. تاريخها السياسى والحـضارى، رسالة ماچستير غير منشورة أجيزت بكلية الآداب جامعة عين شمس فى مارس ١٩٧٦م.

ثالثا: الكتب الأجنبية

- Lane Poole,S., Medieval India Under Mohammadan Rule. London, 1925.

- Nanda Joshi, Studies in Modern Indian History. Number 1, New Delhi, 1972.

- Presaid, I., History of Medieval India. Ellahabad. 1952.

- Sinha and Ray, A. History of India, New Delhi, 1973.

- Smith, V.A., Akbar the Great Mughul.

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

سجادة مغولية – ق ١٧ م

Abstract

The author starts with a historical background of the Mongolian Empire, which was established in the 13th & 14th Centuries. It Noteworthy to mention that after the death of Hulago and the rise of Taimur Lank from Transoxania during the second half of the 14th Century, the Taimur dynasty had full control over the Mongolian Empire, one of his successor Zaheer El- Dine Baber established an Islamic State called the Taimuria in India.

His successors solidified that State and put many parts of the Indian Continent under their rule.

There is also an objective analysis of the various institutions of the Taimuranian State and its development until the days of its decline and fall.

Dr. Adel Ghoneim

History is the most esteemed branch of human knowledge, thus a historian should abide by the virtue of objectivity, foresight and the readiness to learn from the lessons of the past in order to confront present and future challenges.

History is not a kind of tell-tale, rather it is the morale lying behind events and happenings. History again has a wonderful trait which is "continuum" from the past to the present, and ventures of the future.

Episodes of history are transformed from one generation to the other via the narrative which preserves the accomplishments of each and every historical epoch.

However, history does not in any way repeat itself, for every day there is something new and dynamic in our globe. It is true that the stage for events remains the same, but seasons change and the human being himself does change, socially and culturally as well.

In view of all these considerations, Dar El-Fikr-EL-Arabi, founded by Mr. Mohamed Mahmoud El Khodari, has taken on itself to foster this colossal project of a historical serial involving past, present, and contemporary records from a universal approach.

It is noteworthy that the authors of this serial are from the elite of the Egyptian historians.

We sincerely hope that the recipient will enjoy reading the volumes of this serial for which Dar- El-Fikr has devoted all its efforts and technologies to produce it in this colorful format.

Dr. Said Abdel Fattah Asshour

CONSULTATIVE COMMITTEE FOR:
The Encyclopaedia of History, Archaeology and Civilization

Correspondence & Communications:

Dar El-Fikr El - Arabi

The Encyclopaedia of History, Archaeology and Civilization

94 Abbas Al-Akkad St., Nasr City - Cairo - Egypt

Tel.: 2752984 Fax: 2752735

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

The Islamic Taimorian " Mongolian"State In India (1526-1857)

Dr. Adel Ghoneim

Publisher

Dar Al-Fikr Al-Arabi

94 Abbas El - Akkad St. Naser City - Cairo

tel : 2752794 . Fax : 2752735

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com